الاغتيال الثاني للسادات

الفصل الخامس

السادات وحرب أكتوبر

◆◆◆

obeikan.com

« ربما جاء يوم نجلس فيه معاً لا لكي نتفاخر ونتباهى ، ولكن لكي نتذكر وندرس ونعلم أولادنا وأحفادنا جيلاً بعد جيل ، قصة الكفاح ومشاقه، ومرارة الهزيمة وآلامها ، وحلاوة النصر وآماله »

« الرئيس السادات »

ستظل حرب أكتوبر أنصع صفحات التاريخ المصرى على مر العصور ، وسنظل مدينين لأبطال هذا النصر الذين ثأروا لكرامتنا التى أهدرت على رمال سيناء فى نكسة يونيو ١٩٧٦ . جاءت حرب أكتوبر بثورة استراتيجية قلبت مفاهيم الحرب التقليدية وغير التقليدية كما هدمت نظريات وغيرت نظريات أخرى في البر والبحر والجو فهى كما يقول العسكريون « حرب محدودة ولكنها كثيفة وهى حرب طويلة ولكن بدايتها خاطفة .. حرب طيران حسمتها الصواريخ وحرب دبابات انتصرت فيها المشاة وهى حرب التقنية المتقدمة التى واجهتها القوى البشرية لأول مرة » . لقد امتد تأثير الحرب على السياسة العالمية ، والإقليمية ، والاقتصاد العالمي ، والإقليمي ، ومازالت نتائجها تؤثر فى المنطقة حتى الآن فلم تكن حرب أكتوبر حربًا عادية لقد كانت ملحمة وطنية وعلامة بارزة ونقطة تحول فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى ومهما أوغلت الأقلام فى صدر هذا الإنجاز ومهما حاولوا تدنيس هذا الإنجاز فلن يستطيعوا اجتثاث جذوره وأمجاده التى أشبعت نفوس المصريين عزة وكرامة على مر الأجيال والتى نستلهم روحها فى كل لحظة لننهض بمصرنا الغالية من كل الكبوات .

عندما يكون الإنجاز عظيماً وخالداً فإنه يبهر البعض، ويوغر الأحقاد فى صدور البعض الآخر ، وفى كل مرة ونحن نحتفى بنصر أكتوبر المجيد نجد بعض الأقلام تحاول دون كلل تشويه هذا النصر وتشويه قائده البطل أنور السادات أو سلب النصر منه متذرعة بأنها تتناول الحرب بموضوعية بهدف الوصول إلى الحقيقة !

والحقيقة أن كل قلم يهرول إلى تلك الحقيقة الزائفة، إنما ينفث حبره من حقد يعانيه على بطل قرار العبور أو من جهل يعانيه عن التاريخ أو من تعمد سافر على تشويه تاريخنا فى وجدان شبابنا وبدل من أن يعتزوا بالنصر ونتائجه ينفرون منه وبدل من أن يعلنوا للعالم أنهم المصريين أصحاب أقدم حضارة وأعظم تاريخ يتوجسون خيفة من ذلك ! إن الحقيقة هى التى شهد بها العدو والصديق وهى ما نسجته الإرادة المصرية على منوال الأحداث ، إن التاريخ لا يتوقف عند الصغائر وإذا سعى البعض لتصيد الأخطاء لهذا النصر فإنها لن تنال من عظمة الإنجاز للمصريين فى هذه الحرب ، وإذا كانت العبرة بالنتائج فقد عادت لنا سيناء الحبيبة كاملة . وعندما يهاجم النصر أقلام غير مصرية فذلك هو قدر الشجرة المثمرة أن تُقذف بحموم حاقديها وحاسيدها أما مايؤلمنى حقًا أن أقلاما مصرية تفعل نفس الفعلة مهاجمة للنصر ونتائجه ولقائده الذى هو رمز من رموز النصر ! وإن رأوا أنه لامناص من الاعتراف بالنصر نسبوه لغير أهله . إن أسئلتهم المثارة حول حرب أكتوبر لا تهدف الوصول إلى الحقيقة والاستفادة من دروسها ولكن الحقيقة أن تلك التساؤلات بتلميحاتها السخيفة تهدف إلى إهالة التراب على الإنجاز وتصوير قائده بالخائن فى عيون المصريين لتتبدل معايير النصر والوطنية عند الأجيال ليروا الهزيمة نصراً والنصر هزيمة وليروا الخائن بطلاً والبطل خائناً ! إنهم يعبثون بالتاريخ ويصورونه فى صورة أخرى والحقيقة أن الكثير من مؤرخينا وكتابنا قد تصدوا بكل جهدهم لتلك الحملة المغرضة، فنجد على سبيل المثال لا الحصر كتاب « تاريخ مصر والمزورون » للمؤرخ الدكتور عبد العظيم رمضان ، « تاريخ ليس للبيع » للأستاذ رجب البنا ، ومن حق التاريخ علينا كمصريين أن ندافع عن تاريخنا وزعمائنا دون كلل كما تهاجم أقلامهم دون كلل أيضا ولكن دون مبالغة كذلك فإن تاريخنا لا يحتاج إلى من يمجده فإن مجرد روايته كما هو على حقيقته كفيلة بذلك ؛ لذا سأحاول قدر الإمكان فى هذا الفصل تفنيد فرياتهم حول حرب أكتوبر وزعيمها البطل أنور

السادات قدر استطاعتى ورغم أننا نحاول أن نركز على الناحية السياسية ؛ وذلك لأننا بصدد تناول الرئيس السادات رأس القيادة السياسية إلا أن طبيعة الموضوع تجبرنا على التعرض كثيراً للناحية العسكرية فى أغلب الأحيان خاصة وأن أغلب الاتهامات التى وجهت إلى سياسة السادات فى حرب أكتوبر تتعلق بقراراته السياسية التى أضاعت – من وجهة نظرهم – ثمار النصر العسكرى ولن نتعرض بشكل تفصيلى للناحية العسكرية إلا فيما يخدم السياق باعتبار القادة العسكريين أفضل منا فى عرض ذلك مستهدفاً من ذلك الحقيقة دون مبالغة مسرفة أو حماسة طائشة راجياً ألا تقع عقول شبابنا فريسة لتلك الأقلام وأن يعتزوا بنصرهم ويضعوا أبطاله فى منزلتهم المستحقة .

حرب أكتوبر استعداداً وتخطيطاً وتنفيذاً تكتب لعهد السادات

إن إعادة بناء القوات المسلحة بعد حرب يونيو إنجاز يحسب للرئيس عبد الناصر ويكتب تاريخيا لعهده ، أما حرب أكتوبر استعداداً وتخطيطاً وتنفيذاً إنجاز وفضل يكتب لعهد الرئيس السادات ، إذن لماذا نشوه الحقائق ونضفى فضلاً لزعيم على حساب زعيم آخر فى حين أن كل منهم أدى واجبه الوطنى كاملاً تجاه بلده . إن البعض نسب خطة حرب أكتوبر لعهد الرئيس عبد الناصر وكأنهم رأوا ضآلة فى انجاز عبد الناصر بإعادة بنائه للقوات المسلحة فأرادوا أن يضيفوا له إنجاز الحرب ! أو أنهم رأوا كبر الإنجاز على شخصية مثل السادات فأرادوا سحب بساط المجد من تحت قدميه ! هل كان فى اعتقادهم أن الرئيس السادات كانت أمامه خطة جاهزة وقوات على أهبة الاستعداد تدريباً وتسليحاً ولكنه انتظر ثلاث سنوات كاملة ليختبر مدى صبر شعبه عليه ! .

لم تكن لدى مصر بعد وفاة الرئيس عبد الناصر سوى خطة دفاعية هى «الخطة ٢٠٠» ، والخطة «جرانيت» وهى خطة ليست هجومية بالمعنى الشامل فقد كانت

تشمل مجرد القيام ببعض الغارات بالقوات على مواقع العدو فى سيناء[1] ، وذكر الفريق أول «محمد فوزى» والذى نشهد له بدور بارز فى إعداد القوات المسلحة فى مرحلة ما بعد العدوان ، ذكر فى مذكراته أن «الخطة ٢٠٠» هى خطة هجومية شاملة لتحرير الأرض والوصول إلى الحدود الشرقية لمصر ! ، وأن الخطة «جرانيت» هى المرحلة الأولى من الخطة «الخطة ٢٠٠» ، للوصول إلى خط المضايق الجبلية شرق القناة وأن القوات المصرية كانت «مستعدة» لتنفيذ تلك الخطط عقب انتهاء فترة وقف إطلاق النار «مبادرة روجرز» فى ٥نوفمبر ١٩٧٠ ! وأن الرئيس عبد الناصر قد صدق عليها «شفوياً» فى أغسطس ١٩٧٠ ، وعلل الفريق «فوزى» سبب حصوله على تصديق شفهى من الرئيس عبد الناصر على تنفيذ الخطة «الخطة ٢٠٠» دون دراسة وبحث ومناقشة لتفاصيل الخطة من عبد الناصر لأنه كان مشغولاً بزيارة الوفد الليبى له بقيادة الرئيس «معمر القذافى» ولم يتمكن الفريق «فوزى» من الانفراد به خلال الأربعة أيام التى قضاها معه هناك ! ثم تصاعد الموقف فى عمّان على أثر الصدام بين «الملك حسين» والفلسطينيين ، ثم حالت وفاة الرئيس عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ دون استمرار التخطيط الزمنى لبدء معركة التحرير !. استغل البعض هذا التصريح من جانب الفريق «فوزى» ليعلنوا أن حرب أكتوبر كانت من إعداد الرئيس الراحل عبد الناصر وأن وفاته حالت دون تنفيذها فى وقتها وأن الرئيس السادات أجل الحرب عن موعدها ثلاث سنوات استطاعت فيها إسرائيل تدعيم قوتها وموقفها فى سيناء خاصة وأن القوات المصرية كانت مستعدة فى سبتمبر ١٩٧٠ كما قال الفريق «فوزى» وبذلك يسلبون الرئيس السادات من أى دور فى حرب أكتوبر بل يتهمونه بتأخير الحرب ، وبالطبع فإن هذا الكلام عار تماماً من الصحة وأن قصة الفريق «فوزى» عن «الخطة ٢٠٠» وإمكانياتها غير قابلة للتصديق بالمرة ؛ فالفريق «فوزى» لم يشاركه أى قائد أخر فيما قاله سواء فى مذكراته

(١) سعد الدين الشاذلى - حرب أكتوبر (مذكرات) - ص ١٤ .

أو فى تصريحاته ، فيقول المشير «الجمسى» عن «الخطة ٢٠٠» فى مذكراته عن حرب أكتوبر « لقد ظهر اسم هذه الخطة والغرض منها فى مذكرات أحد القادة العسكريين المصريين السابقين (يقصد الفريق فوزى بالتأكيد) ... وسوف يسجل التاريخ أيضاً أن «الخطة ٢٠٠» كانت «خطة دفاعية» عن منطقة قناة السويس ، وضعت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، واشتركت فى وضعها عندما كنت أعمل رئيساً لأركان جبهة قناة السويس فى ذلك الوقت ، ووثائقها موجودة فى وزارة الدفاع » ،كما زعم الفريق «فوزي» أن الرئيس السادات فى منزله بالجيزة يومى ٢٩ أبريل و ٩ مايو ١٩٧١ أصدرت له التوجيهات النهائية لعمليات تحرير سيناء كما حدد يوم بدء المعركة ، كما أشار الفريق «فوزي» فى مذكراته أنه اشترك مع الفريق «محمد صادق» رئيس الأركان فى كتابة وثيقة تحرير سيناء ولكن السادات رفض التوقيع عليها عندما عرضت عليه . ومما ينفى صحة هذه الرواية هو أن الفريق «صادق» نفى هذه الواقعة تماماً ونفى اشتراكه مع الفريق «فوزى» فى كتابة وثيقة خاصة بالمعركة ، كما يقول اللواء «جمال حماد» فى كتابه «المعارك الحربية على الجبهة المصرية».« إن الوثيقة التى أكد الفريق فوزى أنها كانت تتضمن تنفيذ الخطة جرانيت أي الوصول إلى المضايق ، اتضح عند عثورنا عليها أن كل ماكانت تتضمنه هو مجرد القيام بعمليات محدودة ابتداءاً من الأسبوع الأول من شهر يونيو ٧١ ، وهى عمليات تماثل إلى حد كبير العمليات التى تم التدرج إليها فى نهاية حرب الاستنزاف قبل أن تتوقف فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ على أثر مبادرة روجرز ، أى أنه لا توجد ضمن هذه الوثيقة أى عبارة تشير إلى تحرير الأرض أو إلى الخطة جرانيت أو الوصول إلى منطقة المضايق ». كما تؤكد أقوال الفريق «الشاذلى» فى مذكراته عن حرب أكتوبر أثناء توليه رئاسة أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى ١٦ مايو ١٩٧١ ما يقلب أقوال الفريق «فوزي» رأساً على عقب وينفى صحتها تماماً ، حيث أورد الفريق «الشاذلى» فى صدر مذكراته نتائج دراسته عن إمكانيات القوات المسلحة فى ذلك.الوقت فيقول «

عندما عينت رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة المصرية فى ١٦ مايو ١٩٧١ ، لم تكن هناك خطة هجومية ، وإنما كانت لدينا خطة دفاعية تسمى «الخطة ٢٠٠» ، وكانت هناك أيضاً خطة تعرضية أخرى تشمل القيام ببعض الغارات بالقوات على مواقع العدو فى سيناء ولكنها لم تكن فى المستوى الذى يسمح لنا بأن نطلق عليها خطة هجومية ، وكانت تسمى «جرانيت» . بدأت عملى بدراسة إمكانات القوات المسلحة الفعلية .... وقد أوصلتنى تلك الدراسة إلى النقط الرئيسية التالية :

١. أن قواتنا الجوية ضعيفة جداً إذا ما قورنت بقوات العدو الجوية ، كما لا تستطيع أن تقدم أى غطاء برى لقواتنا البرية إذا ماقامت بالهجوم عبر أراضى سيناء المكشوفة ، كما أنها لا تستطيع أن توجه ضربة جوية مركزة ذات تأثير على الأهداف المهمة فى عمق العدو .

٢. أن لدينا دفاعاً جوياً لا بأس به يعتمد أساساً على الصواريخ المضادة للطائرات Sam ولكن - للأسف الشديد هذه الصواريخ دفاعية وليست هجومية .

٣. كانت قواتنا البرية تتعادل تقريبا مع قوات العدو . لقد كان لدينا بعض التفوق فى المدفعية - فى ذلك الوقت - ولكن العدو كان يختبئ وراء خط بارليف المنيع ، والذى كانت مواقعه قادرة على تحمل قذائف مدفعيتنا الثقيلة دون أن تتأثر بهذا القصف ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت قناة السويس - بما أضافه العدو إليها من موانع صناعية كثيرة - تقف سداً منيعاً آخر بين قواتنا وقوات العدو .

٤. أما قواتنا البحرية كانت أقوى من بحرية إسرائيل ، ولكن ضعف قواتنا الجوية قلب الموازيين وأحال تفوقنا البحرى إلى عجز وعدم القدرة على التحرك بحراً... لقد كانت تلك القطع البحرية المعادية تعتمد على قوة الطيران الإسرائيلى الذى يستطيع أن يغرق أى قطعة بحرية مصرية تتعرض لها .

وقد خلص رئيس الأركان من هذه الدراسة قائلاً « ونتيجة لهذه الدراسة فقد ظهر لى أنه ليس من الممكن القيام بهجوم واسع النطاق يهدف إلى تدمير قوات العدو

وإرغامه على الانسحاب من سيناء وقطاع غزة ، وأن إمكاناتنا قد تمكننا – إذا أحسنا تجهيزها وتنظيمها – من أن نقوم بعملية هجومية «محدودة» تهدف إلى عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف ثم التحول بعد ذلك للدفاع ، وبعد إتمام هذه المرحلة يمكننا التحضير للمرحلة التالية التى تهدف إلى احتلال المضايق ، والتى تحتاج إلى أنواع أخرى من السلاح وإلى أسلوب آخر فى تدريب قواتنا » وكانت هذه هى نظرية الفريق الشاذلى لتحرير الأرض وهى التى اقتنع بها الرئيس السادات وتم تنفيذها فى حرب أكتوبر بعد إجراء تعديلات عليها بشأن التنسيق مع الجبهة السورية وتطوير الهجوم نحو احتلال المضائق .

كان هذا هو حال قواتنا المسلحة فى الوقت الذى ذكر فيه الفريق «فوزى» أنها مستعدة وأن خطته هجومية شاملة تستهدف الوصول إلى حدود مصر الشرقية فى حين أن قواتنا – كما يقول الفريق الشاذلى – لا تتيح لها إمكانياتها إذا أحسن تجهيزها وتنظيمها أكثر من القيام بعملية هجومية محدودة نعبر بها القناة ونحطم خط بارليف ثم نتحول للدفاع لحين التحضير للمرحلة التالية التى تحتاج لأنواع أخرى من السلاح وأسلوب آخر فى التدريب ! إذن فمن رحمة القدر بنا وحكمة الرئيس السادات أنه لم يدخل الحرب بناء على رغبة الفريق «محمد فوزى» وزير الحربية فى ذلك الوقت وإلا كنا تعرضنا لما هو أفجع من هزيمة يونيو ١٩٦٧ إذا دخلنا المعركة وإمكانات قواتنا بالوصف الذى ذكره الفريق «الشاذلى» رئيس أركان القوات المسلحة ، كما كانت مبررات الفريق «فوزى» لاكتفاء الرئيس عبد الناصر بالتصديق الشفهى على خطته دون مناقشة واهية تماماً ، فكيف ينشغل الرئيس عبد الناصر عن مناقشة هذا القرار الخطير الذى سيحدد مصير الأمة العربية لمجرد زيارة لوفد ليبى خاصة وأن عبد الناصر زعيم العرب ويعلق العرب جميعا آمالهم عليه ! بل لم يدر الفريق «فوزى» أنه يهين عبد الناصر حينما ذكر أنه انشغل عنه لأربعة أيام كاملة عن مناقشة الخطة ! فكيف لا يستطيع وزير الحربية أن ينفرد برئيسه طوال هذه المدة

لاطلاعه على تفاصيل خطة التحرير ! بل يمتد التجاهل من عبد الناصر « والذى كان دائما يحب الإلمام بتفاصيل كل شيء » إلى أن وافته المنية ! وكأن عبد الناصر كان سيدخل الحرب دون إعداد سياسى ورسم معالم استراتيجيته السياسية وتنسيق السياسية مع الحرب وكأنه قائد ساذج ! إن الفريق «فوزى» أراد أن ينسب فضل خطة الحرب لعهد عبد الناصر فأهانه دون أن يدرى كما أهان عقلية القارئ الواعى فى إمكانية تصديقها هذا الكلام ، خاصة وأننا أوضحنا إمكانات الخطة «٢٠٠» وإمكانات قواتنا فى هذا الوقت ، كان من الواضح جداً أن كل ماذكره الفريق «فوزى» بشأن خطط الهجوم التى وضعها لتحرير سيناء كانت عبارة عن مشروعات تعليمية تعبوية بدون جنود ، ويقول اللواء «جمال حماد» فى كتابه (المعارك الحربية على الجبهة المصرية): « ومن أبرز هذه المشروعات المشروع التعبوى الذى قام بإدارته الفريق أول محمد فوزى والذى أسماه «التدريب العملى الأخير لتطبيق خطة تحرير سيناء» ...ولم يتم فى هذا المشروع تحرير سيناء فقط بل تم الاستيلاء كذلك على منطقتى العوجه وإيلات (داخل الحدود الإسرائيلية) . ولا يمكن بالطبع اعتبار أن هذا المشروع كان تدريباً على خطة حقيقية موضوعة ، إذ من أين لنا فى بداية عام ٧١ القوات والأسلحة والمعدات التى كانت تكفل تحقيق أهداف هذه الخطة ؟ .. إن الفريق فوزى قد استخدم خياله أكثر من اللازم . سواء فى وضع هذا المشروع أو فى إدارته .»

ومن هنا لابد من الإشادة بالدور العظيم الذى بذله الرئيس السادات والقادة العسكريون أبطال أكتوبر لإعداد القوات المسلحة لحرب أكتوبر . وبالتالى يصبح قول الأستاذ «هيكل» فى كتابه «خريف الغضب» « كما أن «جمال عبد الناصر» لا بد أن يكون قد شعر بقدر من الرضا عندما وقع فيما بعد خطة العملية «جرانيت رقم١» ، وهى الخطة التى استعدت قواتها لعبور قناة السويس على خمسة محاور « هو مجرد تضليل للقارئ ونجده يقول أيضا » كانت خطة العبور قد وضعت من قبله -

يقصد السادات - ولقد كان له فضل القرار بدون شك « وبذلك يجرد الرئيس السادات من أى دور فى الحرب اللهم إلا اتخاذ القرار رغم طبعاً أهمية القرار وصعوبته ، ولكن الحقيقة أن خطة الحرب بأكملها وضعت فى عهد السادات وتم الإعداد لها بدراسة علمية مستضيفة من جانب رواد العلم العسكرى فى مصر فى ذلك الوقت وتم التغلب على الصعوبات التى تواجه تنفيذها بالإضافة إلى مناورات الخداع التى كانت جزءا من الخطة كل ذلك حدث تحت قيادة بطل أكتوبر الرئيس السادات الذى شارك بدوره فى خطة الخداع والإعداد سياسياً لهذه الحرب وكل هذا سنوضحه خلال السطور التالية القادمة .

خطة الحرب:

كان من الطبيعى أن تلقى سياسية الاتحاد السوفييتى فى تسليح مصر بظلالها على خطة الحرب فبناء الجيش المصرى على أساس دفاعى وعدم تزويده بالأسلحة الهجومية أدى إلى اختلاف شديد بين القادة العسكريين حول خطة الحرب المنتظرة وظل الصراع دائماً على خطة الهجوم طوال عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٢ . كان الفريق «الشاذلى» مقتنعاً من خلال دراسته لإمكانات قواتنا المسلحة بأن معركتنا القادمة يجب أن تكون محدودة ويجب أن يكون هدفها النهائي الاستيلاء على خط الدفاع الأول لإسرائيل شرق القناة مباشرة «خط بارليف» واحتلاله ثم التحول بعد ذلك للدفاع ، وبعد إتمام هذه المرحلة يمكننا التحضير للمرحلة التالية التى تهدف إلى احتلال المضايق ، والتى تحتاج إلى أنواع أخرى من السلاح وإلى أسلوب آخر فى تدريب قواتنا ، وعندما عرض الفريق «الشاذلى» نظريته على الفريق أول «صادق» وزير الحربية خلفا للفريق «فوزى»[1] عارض خطته بشدة وأوضح أن الخطة

(١) كان الرئيس السادات قد أطاح به فى ثورة ١٥ مايو ١٩٧١ باعتباره أحد مراكز القوى وعين الفريق محمد صادق خلفا له كوزير للحربية وقائد أعلى للقوات المسلحة .

لاتحقق أى هدف سياسى أو عسكرى للأسباب التالية[١]:

– فمن الناحية السياسية : سوف يبقى ما يزيد على ٦٠٠٠٠ كم٢ من سيناء ، بالإضافة إلى قطاع غزة تحت الاحتلال الإسرائيلى .

– ومن الناحية العسكرية : سوف تخلق لنا موقفاً صعباً فبدلاً من خطنا الدفاعى الحالى الذى يستند إلى مانع مائى جيد ، فإن خطنا الدفاعى الجديد سوف يكون فى العراء وأجنابه معرضة للتطويق ، كما ستكون خطوط مواصلاتنا عبر كبارى القناة تحت رحمة العدو .

ذكر الفريق «الشاذلى» فى مذكراته أن الفريق أول «صادق» كانت فكرته فى العملية الهجومية هى أن نقوم بتدمير جميع قوات العدو فى سيناء ، والتقدم السريع لتحريرها هى وقطاع غزة فى عملية واحدة مستمرة وكان وزير الحربية يعول فى نظريته[٢] على الحصول على الأسلحة الهجومية من السوفييت لتنفيذ هذا الهجوم الشامل وأن تتوافر لمصر قوة ردع وتستطيع طائرتنا ضرب عمق العدو ، إلا أن الفريق «الشاذلى» أوضح له أنه ليس لدينا الإمكانات للقيام بذلك ، وبعد مناقشات طويلة أمكن التوصل إلى حل وسط وهو تجهيز خطتين : خطة تهدف إلى الاستيلاء على المضائق ، وأخرى تهدف إلى الاستيلاء فقط على خط بارليف . وفى اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة[٣] يونيو ١٩٧٢ فى استراحة الرئيس بالقناطر الخيرية دار صراع داخل المجلس الأعلى للقوات المسلحة بين ثلاث نظريات للتحرير ففى مواجهة نظرية الفريق «سعد الدين الشاذلى» ، قامت نظرية الفريق «صادق» السابقة التى عرضها الفريق «الشاذلى» فى مذكراته ، وحذر الفريق

(١)سعد الدين الشاذلى – حرب أكتوبر (مذكرات) .

(٢)أورد الفريق «صادق» فى مذكراته الخطة التى تبناها لتحرير سيناء والتى تتعارض تماماً مع الخطة التى ذكرها الفريق «الشاذلى» فى مذكراته على لسانه .

(٣)دكتور عبد العظيم رمضان – حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ – ص ٥١ – ٥٢ .

«صادق» من القيام بأى عملية هجومية إلا بعد تكوين قوة الردع أى أن يكون عندنا طيران يضرب عمق العدو . أما النظرية الثالثة ، فكانت نظرية اللواء «أحمد إسماعيل» مدير المخابرات العامة فى ذلك الوقت التى كانت تقوم على أن القوات المسلحة ليست فى وضع يسمح لها بالقيام بعملية هجومية ، وأن هذه العملية الهجومية يجب أن ترتبط بإعداد القوات الجوية المصرية ، وبالتالى فإن توقيت المعركة يجب أن يرتبط بإغلاق «الفجوة» بين القوات الجوية المصرية وقوات إسرائيل الجوية

غير أن الفريق «الشاذلى» أقنع الرئيس السادات فيما بعد برأيه بعد أن شرح له قصور الرأيين الآخرين ، فالرأى الأول الذى تبناه الفريق «صادق» يحتاج إلى عدة سنين لكى نحصل ونتدرب على الأسلحة اللازمة لمثل هذا الهجوم خاصة فى ظل سياسة السوفييت الخاصة بعدم إمدادنا بأسلحة هجومية ، كما أن رأى اللواء – الفريق فيما بعد – «أحمد إسماعيل» الذى ربط المعركة بإعداد القوات الجوية يعنى تأجيل المعركة لأجل غير مسمى ؛ لأن الفجوة بين قوات إسرائيل الجوية والقوات الجوية المصرية تميل إلى الاتساع لا إلى الضيق ، ولا يوجد أمل فى إغلاق أو تضييق هذه الفجوة فى المستقبل القريب . وقال الفريق «الشاذلى» أنه لذلك يجب أن تدور المعركة فى إطار إمكانات القوات المسلحة ، بمعنى أن نخطط لمعركة هجومية محدودة Local Conflict ، فى ظل تفوق جوى معاد وفى هذه الحالة يمكن أن نعتمد فى تحدينا للتفوق الجوى الإسرائيلى[1] خلال تلك المعركة على حائط

(١) كان سلاح الجو الإسرائيلى أو ((الحيال ها أفير)) كما يسمونه فى إسرائيل قد نال شهرة واسعة وصار تضخيمه بشكل غير مسبوق فى الإعلام الإسرائيلى إلى الحد الذى جعل أديب إسرائيلى يقول « إن إسرائيل ليست دولة بالمعنى المعروف ولكنها عبارة عن سلاح طيران يمتلك دولة » ! ، ويرجع تفوق الطيران الإسرائيلى على سائر سلاح الطيران العربى إلى الفارق التكنولوجى الهائل بين التسليح الغربى الأمريكى والتسليح الشرقى الروسى الذى بلاجدال فى صالح الجانب الغربى خاصة فى سلاح الطيران ((حيث كان اهتمام السوفييت منصبا على الصواريخ وتفوقوا فيها على الغرب)) فلا يمكن مثلاً مقارنة طائرات الميراج الفرنسية والفانتوم وسكاى هوك الأمريكية التى=

الصواريخ الذى أثبت فاعليته فى أواخر حرب الاستنزاف ، بالطبع كان هذا الرأى العبقرى والذى تبناه الفريق «الشاذلى» كفيلاً بإقناع السادات على الموافقة عليه حيث يجعل قواتنا تحارب بما لديها من سلاح وفى إطار إمكاناتها دون الانتظار لوعود السوفيت لإرسال السوفييت بمزيد من الأسلحة ودون امتناع السادات عن خوض حرب انتظاراً لتكافؤ القوى العسكرية أو حتى تضييق الفارق بينها إلا أن السادات لم يحسم الأمر ولم يعلن قراره النهائي بخوض معركة هجومية محدودة إلا بعد أن تيقن من مماطلة السوفيت ورغبتهم فى تهدئة الموقف فى المنطقة ؛ فكان قراره بإنهاء خدمة المستشارين السوفييت من مصر . وفى منزله بالجيزة عقد الرئيس السادات فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ اجتماعا للمجلس الأعلى للقوات المسلحة شرح فيه الموقف السياسى وموقف الدولتين العظميين وأنه لابد من التحرك عسكريا حتى تتحرك القضية سياسيا وأننا سنحارب بما لدينا من سلاح اعتمادا على خطة الحرب الهجومية المحدودة وأوضح أن مجرد تمكننا من كسب عشرة سنتيمترات من الأرض على الضفة الشرقية للقناة سيغير الوضع سياسياً وأنه لا سبيل للحل السلمى لأن الحل السلمى حالياً معناه الاستسلام ، كان هذا الاجتماع التاريخى هو الرحم الذى تولد منه قرار حرب أكتوبر المجيدة ، وبعد أن فرغ الرئيس السادات من كلامه بدأ يستمع لتعليقات قواده إلا أن آراءهم أغضبت الرئيس السادات فالفريق «صادق» وزير الحربية أبدى معارضته لفكرة الحرب حالياً لعدم توفر الأسلحة اللازمة وأنه يجب انتظار الأسلحة من السوفييت وتكوين قوة الردع الكافية[1]، ورأى الرئيس السادات انهزامية Defeatism فى آراء بعض اللواءات كما رأى عدم التزام الفريق

=تملكها إسرائيل بطائرات السوخوى والميج السوفييتية التى يمتلكها العرب سواء من حيث المدى أو قوة التسليح أو مدة البقاء فى الجو ؛ لذا كان من أهم المشكلات التى تؤرق المصريين هى قوة سلاح الطيران الإسرائيلى وتفوقه .

(١)ذكر الفريق ((صادق)) مايتعارض مع ذلك حيث صرح بأنه لم يتقدم برأى خلال الاجتماع وترك القادة يتكلمون دون تدخل منه ، وأنه أبلغ الرئيس بأن القرار فى النهاية له وأنهم ملتزمون بتنفيذه .

«صادق» بتطوير الخطة ٢٠٠ الدفاعية وذلك بتعلية الساتر الترابى لنا غرب القناة بحيث يكون أعلى من الساتر الترابى لإسرائيل شرق القناة ، فأنهى الاجتماع وأخبرهم بأنه هو المسؤول عن استقلال البلد وأنه بالتخطيط الجيد سنتغلب على نواحى النقص فى الأسلحة ، وقام الرئيس بإقالة الفريق «صادق» وزير الحربية من منصبه[1] وتم تعيين الفريق «أحمد إسماعيل» وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ .

إذن أصبح من الواضح بعد دراسة إمكانات قواتنا المسلحة تدريباً وتسليحاً مقارنةً بالقوات الإسرائيلية عدم إمكان القيام بحرب شاملة لتحرير كل الأراضي المحتلة في سيناء . وأمكن التوصل في النهاية إلى وضع خطتين هجوميتين :

١- الخطة الأولى محدودة ، هدفها النهائي الاستيلاء على خط المضايق الجبلية شرق القناة، وسميت «العملية ٤١» .

٢- الخطة الثانية أقل عمقاً، هدفها النهائي الاستيلاء على خط الدفاع الأول لإسرائيل شرق القناة مباشرة «خط بارليف» وسميت العملية «المآذن العالية» .

إلا أنه كان كل التركيز على تجهيز واستكمال خطة «المآذن العالية» ، أما «العملية٤١» كانت فى تطوير وتعديل مستمر طبقاً لتطور إمكانيات القوات المسلحة تسليحاً وتدريباً ، وحجم وأوضاع القوات الإسرائيلية في سيناء وعدّلت تسمية الخطة من «العملية ٤١» إلى «العملية جرانيت ٢».

التعاون مع الجبهة السورية والخطة بدر

كان هناك تعاون دائم بين مصر وسوريا منذ قيام الوحدة العربية بينهما وتكوين الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير ١٩٥٨ ، وانفصالها عام ١٩٦١ ، ومروراً

(١) في ذلك الوقت جرت محاولة انقلاب اشترك فيها بعض الضباط ممن يدينون بالولاء للفريق صادق ولكنها فشلت وتم القبض عليهم .

باتفاقية للتعاون السياسي والعسكري بينهما فى ٩/ ٨/ ١٩٦٩ ، ثم مجلس الدفاع العربى المشترك فى القاهرة »الدورة ١١ - ١/ ١١/ ١٩٦٩« ، حتى اتفاقية الدفاع المشترك فى ٢٦/ ١١/ ١٩٧٠ ، وكان هناك تقارب وتعاون سياسى بين الرئيسين السادات والأسد حيث أيقن كل منهما بحتمية الحرب كحل لابديل عنه لتحرير الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، ونتيجة لهذا التقارب السياسى سعت البلدان إلى تنسيق التعاون العسكرى بينهما من أجل هدفهما المشترك من خلال التخطيط لعملية عسكرية تعرضية مشتركة ؛ فعيّنت القيادتان السياسيتان الفريق الأول أحمد إسماعيل علي ، القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، قائداً عاماً للقوات المسلحة الاتحادية «مصر وسورية» ، بدءاً من ١ يناير ١٩٧٣ ، وذلك بمعاونة هيئة العمليات التى أصدر الأمر إليها بدراسة الوضع العسكري في الجبهتين المصرية والسورية ، وتحديد طرائق العمل للإستراتيجية المشتركة ، ووضع أسلوب القيادة والسيطرة على الجبهتين ، كما تم تكوين مجلس أعلى للقوات المسلحة المصرية السورية المشتركة برئاسة وزير الحربية القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، ويتولى هذا المجلس دراسة المسائل العامة ، المتعلقة بالقوات المسلحة للبلدين ، وإعدادها للحرب ، وإعداد التوصيات الخاصة بشؤون الدفاع .

ونتيجة لدراسة الوضع الإستراتيجى على الجبهتين المصرية والسورية كان على القيادة المصرية التخطيط للقيام بعملية هجومية إستراتيجية تنفذ بالتعاون مع القوات السورية ، تقوم فيها مصر بالاقتحام المدبر لقناة السويس وهزيمة التجمع الرئيسى لقوات العدو فى سيناء والوصول إلى خط المضايق وتأمينه استعداداً لتنفيذ أى مهام قتالية أخرى . وفى نفس الوقت تقوم القوات السورية بالهجوم لاختراق دفاعات العدو فى الجولان ، وتدمير قواته ، والوصول إلى خط نهر الأردن والشاطئ الشرقى لبحيرة طبرية وتأمينه[1] . ونتيجة لذلك كان مطلوباً من القيادة العسكرية

(١) المشير الجمسى – مذكرات الجمسى حرب أكتوبر ١٩٧٣ – الطبعة الثانية – ص ٢٠٢ .

المصرية تجهيز خطة بخلاف خطة «المآذن العالية» تشمل تطوير الهجوم شرقا بعد العبور والوصول إلى خط المضايق . لم تكن الخطة المطلوبة سوى إحياءً لخطة «العملية جرانيت٢» ، فأجريت عليها بعض التعديلات ، وسميت الخطة«جرانيت ٢ المعدلة» ، وأطلق على خطة العبور واقتحام خط بارليف وإنشاء رؤوس الكبارى اسم «المرحلة الأولى» ، وأطلق على خطة الوصول إلى المضايق اسم «المرحلة الثانية» ، وأطلق على الخطة المصرية السورية بعد التنسيق بين الجبهتين اسم «بدر» . وكان الرئيسان السادات ، الأسد، قد اجتمعا في برج العرب ، غرب الإسكندرية ، أوائل أبريل ١٩٧٣ ، واتخذا قراراً بالحرب ، غرضها الإستراتيجي تحرير الأراضي المصرية والسورية المحتلة في حرب ١٩٦٧ ، وتوظيف نتائج الحرب لتحرير الأراضي الفلسطينية المحتلة لمصلحة الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية وأبلغ الرئيسان القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية هذا القرار ، وطلبا منه أن تكون القوات المسلحة في البلدين جاهزة، بدءاً من منتصف أبريل عام ١٩٧٣ ، لتلقّي المهام القتالية . انتهى المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية ـ السورية المشتركة ، في أواسط العام ١٩٧٣ ، من وضع التصور النهائي للعملية الهجومية ، ويذكر المشير «الجمسى» رئيس هيئة العمليات واللواء – وقتذاك – أن فكرة الخطة «بدر» صيغت كالتالى[1]:

« أن تقوم القوات الجوية فى الدولتين بتوجيه ضربة جوية فى وقت واحد ضد الأهداف العسكرية المعادية فى سيناء والجولان . وتحت ستر تمهيد نيرانى بالمدفعية فى كل من الجبهتين ، تقوم القوات المصرية بالهجوم مع اقتحام قناة السويس ، وتقوم القوات السورية بالهجوم فى الجولان . وكان مقدراً أن القوات السورية يمكنها تحرير الجولان خلال أربعة أو خمسة أيام ، وتستمر فى تأمينها حتى تصل القوات المصرية إلى الأهداف الاستراتيجية المحددة لها فى سيناء . وكانت فكرة الخطة

(١) المشير الجمسى – مذكرات الجمسى حرب أكتوبر ١٩٧٣ – الطبعة الثانية – ص ٢١١ ، ٢١٢ .

المصرية هى اقتحام قناة السويس بالجيش الثانى والثالث على طول مواجهة القناة وإنشاء رؤوس كبارى جيوش تشمل خمس فرق وقوة قطاع بورسعيد بعمق ١٥ – ٢٠ كيلو متراً مؤمنة بواسطة قوات الدفاع الجوى . وبعد «وقفة تعبوية أو بدونها» يتم التطوير الهجوم شرقاً حتى خط المضايق الجبلية لاحتلاله والتشبث به وتأمينه . وبذلك تصبح القوات الإسرائيلية فى أرض مكشوفة فى وسط سيناء ، لا تتمكن من إنشاء خطوط دفاعية بها للعوامل الطبوغرافية من جهة ، وعدم قدرتها على توفير القوات اللازمة لذلك من جهة أخرى ، وتعرضها للهجمات المصرية التالية شرق المضايق حسب تطور الموقف . وطبقا للخطة أيضا تقوم قواتنا البحرية بتأمين سواحلنا البحرية ، والتعرض لخطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية فى مضيق باب المندب لإيقاف الملاحة من وإلى إيلات ، مما يؤثر على اقتصاد إسرائيل وحرمانها من الإمداد بالبترول من إيران ».ومما هو جدير بالذكر أن ننسب للواء «الجمسى» رئيس هيئة العمليات المصرية حينذاك قبل أن يتولى منصب القائد العام للقوات المسلحة بعد ذلك تلك البراعة والدقة التى تم بها التخطيط للحرب والتغلب على كافة الصعوبات التى واجهة تنفيذها .

قومية المعركة مشروطة !

كان من الحكمة أن تسعى مصر وسوريا قبل خوضهما الحرب إلى استعراض الموقف العربى وشحذ كل الطاقات العربية وإمكانية عمل عسكرى وسياسى عربى مشترك ، فليس من العدل أن تخوض مصر وسوريا معركتهما المصيرية دون مساندة عربية فى مواجهة إسرائيل المدعومة بقوة الصهيونية العالمية ، وأسلحة الولايات المتحدة الأمريكية، وتأييد حلفائها في العالم الغربي ، وكان العرب يحاولون منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ التى خلقت أزمة ثقة عميقة بين القيادات العربية وحتى سنة ١٩٧٣ إيجاد صيغة تعاون عسكرى مشترك وعمل مجلس دفاع عربى مشترك ، وبالفعل انعقد مجلس الدفاع العربى المشترك أكثر من مرة إلا أنه عجز عن اتخاذ قرار

لتوحيد العمل العسكرى العربى من أجل المعركة بيد أن خلافات اعترضت سبيل خروج القرار إلى حيز التنفيذ ؛ فكان على مصر أن تعمل على احتواء الخلافات العربية وتنقية المناخ العربى ولم تفرض مصر على أى دولة عربية أن تحارب معها وإن كانت تتمنى ذلك بالطبع بطلبها أن تحارب دول المواجهة الثلاث (مصر وسوريا والأردن) لإجبار إسرائيل على القتال فى ثلاث جبهات ، و تركت الباب مفتوحا أمام كل الدول العربية لتساهم كل دولة بما تراه مناسبا لإمكاناتها وقدراتها سواء كان دعما عسكريا أو سياسيا أو ماليا أو معنويا. وعاد مجلس الدفاعى العربى المشترك إلى الاجتماع فى القاهرة (الدورة ١٣ خلال الفترة من ٢٧ – ٣٠ يناير ١٩٧٣) وانتهزت مصر الفرصة لعرض تقريرها حول صيغة التعاون العربى فى المعركة المنتظرة ، وبعد أن قدم الفريق أحمد إسماعيل وزير الحربية المصرى تقريره حول الفكرة العامة للتخطيط واحتياجات الخطة الهجومية ، كانت أهم التوصيات المقترحة كالآتى[1] :

١) يقسم مسرح الحرب إلى ثلاث جبهات :

أ- الجبهة الشمالية: تشمل جميع القوات السورية والقوات العربية، التي توضع تحت قيادتها.

ب- الجبهة الشرقية: تشمل جميع القوات الأردنية والقوات العربية، التي توضع تحت قيادتها.

ج- الجبهة الغربية: تشمل جميع القوات المصرية والقوات العربية، التي توضع تحت قيادتها.

٢) توضع الجبهات الثلاث تحت قيادة قائد عام واحد ، هو القائد العام للقوات المسلحة المصرية، الفريق الأول أحمد إسماعيل علي ، تعاونه مجموعة عمليات من الأقطار المشتركة في القتال .

(١) المشير الجمسى – مذكرات الجمسى حرب أكتوبر ١٩٧٣ – الطبعة الثانية – ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

٣- تلتزم دول المساندة (المملكة السعودية - العراق - الكويت - ليبيا - الجزائر - المغرب - السودان) بتقديم الدعم التالى لدول المواجهة وإجمالى هذا الدعم هو ١٦ سرباً جوياً وفرقة مدرعة وفرقة مشاة ولواء مدرع ولواءان مستقلان عن المشاة .

٤- حدد المجلس لبعض البلدان العربية (وهي البلدان المساندة) الوحدات البرية والجوية ، التي يجب أن تكون جاهزة في غاية شهر مارس ١٩٧٣ ، في أماكن تمركزها في دولها ، ومستعدة للتحرك إلى الأماكن التي يحددها القائد العام للقوات المسلحة العربية. أما وحدات الدعم الإضافى للعمليات التعرضية فتكون جاهزة فتكون جاهزة فى أقرب وقت طبقا لما يتم الاتفاق عليه فى المجلس .

ولكن لم تنفذ قرارات هذا المجلس وكانت الخلافات العربية كالعادة هى السبب ، حيث شككت بعض الدول العربية فى جدية مصر للدخول فى الحرب وإن صدقت بعض الدول الأخرى جدية مصر فى الدخول للحرب كانت تشك فى إمكانية نجاحها خاصة وأن شبح هزيمة ١٩٦٧ كان يخيم على العرب ، حيث رفضت الأردن القيام بأى دور فى المعركة المقبلة رغم أنها من دول المواجهة ! ، وأبدى العراق عدم استعداده للمساهمة فى المعركة على الجبهة الشرقية « سوريا » بسبب نزاعاته على الجبهة الإيرانية والكردية ، واقترح استخدام سلاح البترول إذا ما نشبت الحرب ، ولم ترسل سوى سرب من طائرات « هوكر هنتر » رغم أنها إحدى دول الدعم ، أما السعودية فقدت أبدت استعدادها للقيام بأى دور عند قيام الحرب وكانت قد أرسلت سرب طائرات قاذفة إلى مصر قبل المعركة ، وكان الملك «فيصل» دائم الدعم لمصر فالسعودية والكويت كانتا تقدما دعما ماليا كبيرا لمصر ، أما ليبيا والجزائر فكانت علاقتهما بمصر غير جيدة ، وظلت مصر وسوريا هى الصورة القومية الوحيدة لتعاون عسكرى مشترك ، وإزاء صورة الموقف العربى القائم ، قررت مصر وسوريا تكملة المسيرة وحدهما فى التخطيط المشترك للمعركة المقبلة ؛ لذا فلم تكن الحرب عربية إسرائيلية بالمعنى الشامل إذا تحرينا الدقة ولكن يمكن

القول أن هناك قدرًا من التعاون والتفاهم المصرى السورى ونوعًا من الدعم العربى المشروط ببدء الحرب فعلاً ، وبهذا ضيع العرب على نفسهم فرصة ذهبية لتعبئة كل القوى العربية للمشاركة فى الحرب ، وكان الرئيس السادات لا يعول آمالاً كبيرة على مساندة جدية للعرب قبل الحرب ولكنه كان يثق أن الوضع سيتغير عند نشوب الحرب حيث كان يقول « ستكون المعركة مصرية أساسا ، وسوف يقف العرب موقف المتفرج فى البداية ، ولكنهم سوف يجدون أنفسهم فى موقف صعب أمام شعوبهم ، فيضطرون إلى أن يغيروا موقفهم » وهو ما حدث بالفعل بعد قيام الحرب .

دور السادات فى التمهيد السياسى للحرب وعزل إسرائيل دوليا :

لا يمكن بأى حال من الأحول إغفال الدور الكبير الذى لعبه الرئيس السادات فى بناء خطة الخداع الماكرة لتضليل إسرائيل والولايات المتحدة ولم يكن بمقدور «C.I.A» جهاز الاستخبارات الأمريكى نفسه أن يحلل نوايا السادات ، فقد قام الرئيس السادات بتحرك سياسى واعٍ لتمهيد المسرح العالمى للحرب وتهيئة المناخ الدولى لقبول الحرب وقت نشوبها ، كان الرئيس السادات يخوض عملا سياسيا جبارا موازيا للعمل العسكرى العظيم الذى يضطلع به قادة القوات المسلحة فى ظل ظروف سياسية قائمة توحى باليأس ، و لتقدير مدى المجهود الذى بذله السادات لتهيئة المسرح العالمى والعربى للحرب ملتزما فى نفس الوقت بخطة التمويه والخداع التى حيكت خيوطها من جانب القيادة السياسية والعسكرية والإعلام المصرى وجب علينا أن نوضح الأحوال السياسية السائدة فى المناخ السياسى الدولى والتى كانت توحى باليأس لنعرف الأجواء التى عمل فيها الرئيس السادات وكيف استطاع بتحركاته الواعية تهيئة تلك الأجواء للحرب .

الدولتان العظميان :

كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى قد دخلا فى تفاوض بينهما وإيقاف سباق التسليح Race Armament بينهما الذى يستنزف مواردهما الاقتصادية

والتفرغ لمشاكلها الداخلية وبقاء الوضع فى الشرق الأوسط كما هو عليه وفرض الاسترخاء العسكرى فى المنطقة وتوجت مفاوضتها بإعلانها عن سياسة الوفاق بينهما ، الأمر إلى يؤدى إلى تجميد مشكلة الشرق الأوسط واستمرار حالة اللاسلم واللاحرب .

الموقف السياسى الأوروبى :

كانت الدول الأوروبية الغربية فى ركب سياسة الولايات المتحدة الأمريكية حليفها الأكبر ، حتى بعض الدول الأوروبية التى لم تنحز لإسرائيل لم يزد موقفها عن تعاطفها مع القضية العربية. أما دول أوروبا الشرقية فكانت تخضع لسياسة الاتحاد السوفييتى وتتراوح مواقفها بمدى انسجام العلاقة بين الاتحاد السوفييتى والعرب وبالتالى فإن تأييدها للعرب والمرهون بالسياسة السوفيتية هبط لأدناه بعد انتهاج الاتحاد السوفييتى لسياسة الوفاق الدولى ، وطرد الخبراء السوفيت من مصر .

الموقف الأفريقى[1] :

كان لإسرائيل علاقات تجارية قوية مع دول وسط وجنوب أفريقيا وكانت تدير وتشرف على العديد من المشروعات الزراعية بدول المنطقتين كذلك ، ولم تكن الدول الأفريقية غير العربية تهتم بالانحياز لأي طرف ، سوى الذي لديها مصالح مشتركة معه. في الوقت نفسه ، كانت الدول العربية ضعيفة الوجود في أفريقيا ، وبالتالى كان الأمر يحتاج إلى مجهود سياسي ضخم لإقناع الدول الأفريقية بعدالة القضية العربية مع إسرائيل

وكنا قد سبق أن أشرنا إلى الموقف العربى الذى غلبت خلافاته على كل اجتماعاته للتوصل إلى موقف عربى موحد ، كان هذا هو صورة الموقف السياسى الذى

(١) حسن البدرى وطه المجدوب وضياء الدين زهدى – حرب رمضان – الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة – أكتوبر ٧٣ – ص ١٠ – ١١

سيسعى السادات لتحريكه ليتخذ خطوات أكثر إيجابية نحو القضية العربية .

بنى الرئيس السادات إستراتيجيته على عدة ركائز أهمها تهيئة الرأى العام العالمى لقبول حق العرب فى الدفاع عن أراضيهم المحتلة ، وكشف سياسة التوسع Expansionist Policy لإسرائيل وأطماعها من خلال رفضها لكل الطرق السلمية لحل قضيتها مع العرب ، وأنه لم يعد خيار أمام العرب سوى الخيار العسكرى بعدما استنفذت مصر كل الوسائل السلمية ، والتحرك سياسيا على مستوى أوسع فى جميع الجبهات، واستصدار القرارات التى تدين إسرائيل من معظم الدول وتوضيح دور إسرائيل فى إعاقة تنفيذها وذلك لعزل إسرائيل دوليا .

التحرك على مستوى الدول العظمى :

بدأ تحرك الرئيس السادات بتحسين ودعم علاقته بالاتحاد السوفييتى عن طريق تكليفه حافظ إسماعيل مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى فى فبراير ١٩٧٣ وذلك لتوضيحه للسوفيت أنه لا سبيل إلى تحريك القضية سياسيا إلا بعد تحريكها عسكريا وبالتالى لابد من دعم سريع للقوات المسلحة المصرية ثم أوفد الرئيس السادات فى نفس الشهر الفريق أحمد إسماعيل وزير الحربية ليطلع القادة السوفييت على ما تحتاجه القوات المسلحة المصرية من أسلحة ، وكان الرئيس السادات قبل ذلك قد جدد اتفاقية التسهيلات البحرية[1] للسوفيت فى ديسمبر ١٩٧٢ وبالفعل بدأ السوفييت فى إرسال كميات كبيرة من الأسلحة التى اتفقوا عليها ، وعلى الجانب الآخر بعث للرئيس السادات بمستشاره للأمن القومى حافظ إسماعيل إلى باريس للقاء «كيسنجر» مستشار الأمن القومى الأمريكى فذكر «كيسنجر» أن الولايات المتحدة لا تملك ضغطا على إسرائيل وهى دولة منتصرة و مصر دولة

(١) كان الرئيس عبد الناصر قد وافق على تقديم تسهيلات للأسطول السوفييتى فى كل من مينائى الإسكندرية وبورسعيد وذلك سنة ١٩٦٨ ولمدة خمس سنوات .

مهزومة ولا يجوز للمهزوم أن يفرض شروطا من أجل تسوية سلمية ، وكانت هذه الخطوة مهمة لأنها تولد انطباعا لدى الولايات المتحدة وإسرائيل أن مصر تلهث وراء حل سلمى ، وأن احتمالات إقدام مصر على شن حرب ضد إسرائيل احتمالات ضعيفة إن لم تكن مستحيلة .

التحرك على المستوى الأفريقى :

كان حس السادات السياسى قد أتاح له انتباهه للوضع الأفريقى ، فذهب فى مايو ١٩٧٣ إلى مؤتمر الوحدة الأفريقية الذى يعقد كل سنة فى أديس أبابا وبجهود الرئيس ، اتخذ المؤتمر لأول مرة قراراً واضحاً بإدانة إسرائيل وقطعت ٨٠ ٪ من الدول الأفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل .

التحرك على المستوى الدولى :

كانت مصر تسعى إلى طرح قضية الشرق الأوسط على مجلس الأمن كجزء من خطتها الدبلوماسية والسياسية وكانت تهدف مصر إلى استصدار قرار قوى من مجلس الأمن يدين سياسة إسرائيل وموقفها تجاه جهود الأمم المتحدة من أجل السلام ، فدعت مصر إلى انعقاد مجلس الأمن فى ٦ يونيه لإدانة إسرائيل ، لعدم تنفيذها قراراته ولكن المجلس أوقف مناقشاته مع بدء زيارة الرئيس السوفييتي بريجنيف إلى واشنطن ، أملاً في نتائج إيجابية للقضية نتيجة لقاء زعيميّ الدولتين العظميين ، وكان السادات يدرك صعوبة انعقاد مجلس الأمن حول ذلك الشأن مرة أخرى نظراً للضغوط الأمريكية والإسرائيلية وتهديد أمريكا دائما باستخدام حق «الفيتو» ضد أى قرار يدين إسرائيل ، فحدث فى تلك الفترة أن اغتالت إسرائيل ثلاثة من الزعماء الفلسطينيين فى قلب بيروت[1] ، فأرسل السادات إلى «سليمان فرنجية» رئيس لبنان يطالبه بضرورة طلب الرئيس اللبنانى بدعوة مجلس الأمن وإلا

(١) كانت إسرائيل قد شنت عدوانا على بيروت عن طريق البحر وذلك فى يوليو ١٩٧٣ .

طلب السادات ذلك فدعا الرئيس فرنجية إلى اجتماع مجلس الأمن وعزز الرئيس السادات دعوته بدعوة أخرى منه ، واجتمع مجلس الأمن فى منتصف يوليه ١٩٧٣ ليبحث قضية اغتيال الزعماء الفلسطينيين ، ففاجأت مصر الجميع بطرح قضية الشرق الأوسط على مجلس الأمن وطالبت بمشروع قرار يتضمن إدانة شديدة لإسرائيل لاستمرارها في احتلال الأراضي العربية، وعدم تعاونها مع الممثل الخاص للأمين العام . وصوت الجميع لصالح المشروع ، عدا الصين التي امتنعت عن التصويت لرغبتها فى إصدار قرار محدد بإدانة إسرائيل ، والولايات المتحدة الأمريكية التي استخدمت حق «الفيتو» لتسقط المشروع ، وهو ما كان السادات يتوقعه تماماً ، حيث كان السادات لا يعنيه الشكل الذى سيصدر به القرار قدر اهتمامه بالآثار الذى سيتركها بعد اتفاق أعضاء المجلس على إدانة إسرائيل على المستوى الدولى ، لتكون إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية فى جانب ، وبقية دول العالم فى جانب آخر ، وأصبح المناخ الدولى مهيأ لقبول العمل العسكرى الذى تستعد مصر وسوريا للقيام به

التحرك على المستوى العربى

إلى جانب التنسيق مع الجبهة السورية كان لابد للسادات أن يقوم بجولة عربية سريعة لشحذ الهمم العربية وشدها نحو المساندة والدعم وفتح الباب أمام الدول العربية لتقدم ماتراه مناسبا لقدراتها وإمكاناتها للمعركة والتأكيد على جدية خوض مصر للحرب لتشجيع العرب على المساهمة والمشاركة وكان الرئيس السادات سبق وأن أعلن أن مصر لا تفرق بين الدول العربية على أساس تصنيف لنظم الحكم بين رجعية وتقدمية وملكية وجمهورية وأننا جميعاً عرب فحسب ، وبدأ السادات جولته بزيارة السعودية وقطر وسوريا فى أغسطس ١٩٧٣ ، ووعد الملك فيصل السادات بقيام المملكة السعودية بدورها الكامل وقت نشوب المعركة وبالفعل استخدم الملك فيصل سلاح البترول بكفاءة وفى الوقت المناسب أثناء الحرب ، وظن العالم أن زيارة

الرئيس السادات للسعودية وقطر كانت من أجل الدعم المالى بعد أن وصل الاقتصاد المصرى إلى درجة الصفر «كان السادات قبلها مباشرة قد وقع اتفاق القرض الذى تمنحه بريطانيا لمصر فى القاهرة وقيمته ١٠ ملايين جنيه» ، وأن زيارته لسوريا تستهدف بحثه مع الرئيس حافظ الأسد طريقة للحل السلمى ، وفى أول سبتمبر بحث الرئيس مع أمير الكويت الشيخ «صباح السالم الصباح» فى القاهرة سبل حشد القوى العربية للمعركة وبعده بأسبوع تقريبا كانت المباحثات بين الرئيس السادات وحافظ الأسد والملك حسين فى القاهرة حول إمكانيات العمل العربى المشترك ودور الجبهة الشرقية وأعاد الرئيس السادات العلاقات الدبلوماسية بين مصر وعمان .

ختم الرئيس السادات جولته السياسية الشاقة بحضور مؤتمر دول عدم الانحياز فى الجزائر ونجح فى ضمهم لصف القضية العربية وإدانتهم لإسرائيل وبهذا اكتملت فترة الإعداد والتمهيد السياسى المرهقة التى خاضتها القيادة السياسية المصرية بعزيمة وإرادة متحملة كل الضغوط عليها محليا ودوليا واستطاع الرئيس السادات استقطاب تأييد العالم للقضية العربية وكما قال فى كتابه – البحث عن الذات – «كان معى أكثر من مائة دولة قبل المعركة بثلاثة أسابيع .. فى خلال الفترة مابين يناير إلى سبتمبر ١٩٧٣ كنت قد جهزت الساحة العالمية كلها للمعركة .دولياً بقرار مجلس الأمن ، عربيا على مستوى كل الدول العربية مهما اختلفت سياستها ، على مستوى دول العالم الثالث وعدم الانحياز فى مؤتمر الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ » ، وكان تحرك السادات على الجبهة الخارجية مواز لتحركه على الجبهة الداخلية المصرية حيث أنشأ جوا من المصالحة الوطنية وجمع حوله كل الرموز السياسية الوطنية من مؤيدين ومعارضين كما وطد علاقاته بالإخوان المسلمين كقوة لها شعبيتها فى الشارع المصرى وبذلك صنع الرئيس السادات أرضية صلبة داخلية قوية يتحرك عليها وهو مطمئن .

وكان الرئيس السادات قد أحكم حلقات الخداع على عدوه بأكثر من تصريح ومنها إيعازه إلى الصحف والإعلام إلى تسريب معلومات خاطئة عن الجيش المصرى وتحدث الرئيس السادات أكثر من مرة عن قرب نشوب الحرب ثم لا يحارب الأمر الذى دفع كيسنجر إلى وصفه بأنه « مجرد مهرج أو بهلوان سياسى » حيث أمر بتعبئة القوات المسلحة أكثر من مرة فى مايو وأغسطس ١٩٧٣ وفى كل مرة تعمل إسرائيل تعبئة عامة لقواتها لظنها قيام المصريين بعمل عسكرى ثم تكتشف أنها مجرد مناورة عادية وأنها خسرت أكثر من ٢٠ مليون دولار جراء تعبئتها لقواتها دون جدوى الأمر الذى دعا إسرائيل إلى الوقوع فى الفخ حينما رأت حشوداً مصرية قبيل ٦ أكتوبر ١٩٣٧ إلى اعتقادها من أنها مجرد مناورة كسابقاتها ولم تكن تعلم أن الحرب ستنشب بالفعل إلا متأخرا ، ولسنا هنا بصدد ذكر تفاصيل خطة الخداع المصرية ولا يسعنا المجال لذلك حيث خُصص لها دراسات وكتب[1] .

التوجيه السياسى والعسكرى للحرب لأول مرة

وبشجاعة المحاربين اتخذ الرئيس السادات قرار الحرب وحدد يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ العاشر من شهر رمضان المبارك ١٣٩٣ موعدا لبدء العمليات العسكرية على الجبهة المصرية وفى نفس الوقت تقوم القوات السورية بهجومها على هضبة الجولان ، واتخذ السادات قراره وهو يعلم أنه لا يغامر بمستقبله السياسى فحسب بل بمستقبل الأمة بأكملها ، ولكنه كان على ثقة كبيرة من النصر بتوفيق الله عز وجل ومن أبنائه من رجال القوات المسلحة المصرية خير أجناد الأرض حيث كان يقول دائما « لم يكن يخامرنى شك فى أن هذه القوات المسلحة كانت من ضحايا نكسة ٦٧ ولم تكن أبدا من أسبابها حيث لم يتح لها أن تقاتل وتثبت نفسها » ، وأصدر الرئيس توجيها سياسيًا وعسكريًا إلى القائد الأعلى للقوات المسلحة حدد فيه الهدف

(١) من ذلك كتاب الخديعة لصلاح قبضايا .

الاستراتيجى من الحرب وذلك فى أول أكتوبر ثم أتبعه بتوجيه استراتيجى أخر فى ٥ أكتوبر ، ويعد هذا بمثابة تغييراً كبيراً أحدثه السادات فى المفهوم الاستراتيجى للقيادة السياسية للدولة ، وكما يقول اللواء «جمال حماد» . « لم يحدث فى جميع الجولات العربية الإسرائيلية السابقة وضع استراتيجية شاملة لمصر لتحقيق التنسيق والتوازن بين الهدف السياسى للدولة وقدراتها العسكرية ، وكانت القوات المسلحة فى الجولات السابقة تصدر لها الأوامر للاحتشاد فى سيناء دون أن يحدد لها الهدف العسكرى المطلوب تحقيقه ! »

obeikan.com

توجيه إستراتيجي من رئيس الجمهورية
والقائد الأعلى للقوات المسلحة

الى : الفريق أول أحمد اسماعيل على
وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة

١- بناء على التوجيه السياسي العسكري الصادر لكم مني في أول أكتوبر ١٩٧٣ وبناء على الظروف المحيطة بالموقف السياسي والاستراتيجي :

قررت تكليف القوات المسلحة بتنفيذ المهام الاستراتيجية الآتية :

أ- إزالة الجمود العسكري الحالي بكسر وقف إطلاق النار إعتبارا من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣

ب- تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة في الأفراد والأسلحة والمعدات

جـ- العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانيات وقدرات القوات المسلحة

٢- تنفذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية

أنور السادات
رئيس الجمهورية

٩ رمضان ١٣٩٣ هـ
٥ أكتوبر ١٩٧٣ م

نص التوجيه الاستراتيجي الصادر من الرئيس السادات

obeikan.com

عبرنا القناة وحطمنا خط بارليف

حينما أشارت عقارب الساعة إلى الساعة الثانية «١٤٠٠ بلغة العسكريين» ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، انطلقت ٢٢٠ طائرة مصرية من مرابضها محلقة فوق سيناء وانقضت بضربة جوية مركزة تدك مطارات العدو فى عمق سيناء ومراكز القيادة والسيطرة ومحطات الرادار والإعاقة الإلكترونية ومرابض نيران المدفعية للعدو، وبعد عبور طائرتنا بحوالى ٥ دقائق انطلقت المدفعية المصرية تهدر على طول جبهة القناة وتصب جحيم نيرانها فوق حصون خط بارليف واشترك فى هذا التمهيد النيرانى حوالى ٢٠٠٠ مدفع وهاون وصواريخ وهو أكبر حشد نيرانى فى عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية[١]، واستمر القصف النيرانى لمدة ٥٣ دقيقة بقوة وكثافة لم يسبق لها مثيل حيث تم خلاله إطلاق أكثر من ٣٠٠٠ طن من الذخيرة بمعدل ضرب عالٍ جداً وصل فى الدقيقة الأولى إلى ١٠٥٠٠ دانة[٢] مدفعية بمعدل ١٧٥ دانة فى الثانية الواحدة ! وتحت ستر نيران المدفعية بدأت موجات العبور من قوات المشاة المصرية بعد عبور المهندسين ورجال الصاعقة وأخذت تجدف بقواربها نحو الشاطئ الشرقى للقناة وتهتف مع كل ضربة مجداف « الله أكبر »، كانت بانوراما عسكرية رائعة عزفها أبطال قواتنا المسلحة المصرية واندفعوا فى حماس، ولم تمض سوى عشر دقائق حتى نجحوا فى رفع أول علم مصرى على الضفة الشرقية للقناة وخلال الساعات الست الأولى للحرب عبرت فرق المشاة الخمس قبل عبور الدبابات وإقامة الكبارى وقبل دقات ساعة الإفطار كان الجنود الصائمون قد استولوا على أهم النقط الحصينة فى خط بارليف وبحلول الساعة الثامنة من صباح يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ كانت قواتنا قد حققت نجاحا حاسماً فى معركة القناة،

(١) حشد مونتجمرى ٧٠٠ مدفع فى معارك العلمين وظل هذا أكبر حشد للمدافع حتى تخطته حرب أكتوبر بمراحل.

(٢) كان وزن الدانات التى أطلقت فى التمهيد النيرانى ٣ مليون كجم.

فقد عبرت أصعب مانع مائى فى العالم[1] وحطمت خط بارليف المنيع فى ١٨ ساعة وبأقل الخسائر الممكنة ! وهو رقم قياسى لم تحققه أى عملية عبور فى تاريخ البشرية كان هذا هو خط بارليف السد العالى العسكرى الذى علق عليه موشى ديان قبل ذلك ساخرا من المصريين قائلاً : « لكى تستطيع مصر عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف ، يلزم تدعيمها بسلاحى المهندسين الروسى والأمريكى معا » ! وخلال يومى ٧ ، ٨ أكتوبر استطاعت القوات المصرية توسيع رقعة الهجوم وتصفية بقية الجيوب الإسرائيلية والاستيلاء على باقى حصون بارليف مع إجهاض جميع هجمات العدو المضادة وفى يوم ٩ أكتوبر كانت المهمة المباشرة للجيش المصرى قد تحققت بعمق ١٢ ـ ١٥ كم تحت حماية المظلة الصاروخية وتكبدت إسرائيل خسائر فادحة فى تلك المرحلة حيث فقدت فى الدبابات وحدها «العنصر الرئيسى لقوات جيش الدفاع الإسرائيلى» حوالى ٤٠٠ دبابة فى الأيام الأولى للقتال لتبدأ بعد ذلك مرحلة تطوير الهجوم شرقاً للوصول إلى خط المضائق .

الجانب السياسى للحرب :

كان الرئيس السادات يعلم أن عليه خوض معركة على الجبهة السياسية موازية لمعركة قواته على الجبهة العسكرية فكان يعلم أن الحرب بلا شك ستحرك الموقف الدولى فكان عليه أن يساير الموقف سياسياً لاستكمال تحرير الأرض فقد سبق أن أشرنا أن حرب أكتوبر كانت وسيلة لتحرير الأرض ولم يكن هدفها تحريرًا شاملاً لكل سيناء لأن ذلك لم يكن ممكنا بالنسبة لإمكانات قواتنا المسلحة تسليحاً وتدريباً

(١) من المعروف دوليا أن أصعب الموانع المائية فى العالم اثنان لا ثالث لهما ، وهما قناة السويس وقناة بنما نظراً لانفرادهما بطبيعة خاصة للمياه والعمق والعرض وإذا أضفنا إلى كل ذلك ما أضافته إسرائيل على تلك الطبيعة من خط بارليف وحصونه القوية ، ومواقع الإشعال البترولى التى تحول القناة لجحيما إلى جانب سمك الساتر الترابى فإن ذلك كله كافٍ للدلالة على استحالة عبور المصريين لقناة السويس .

ولكن كانت تستهدف عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف وإقامة رؤوس الكبارى ثم تطوير الهجوم شرقا للوصول إلى المضايق على أن تقوم السياسة بدورها فى استعادة كامل سيناء وقد نفذت قواتنا المرحلة الأولى من الخطة بأداء بطولى رائع أدهش قادة العالم وذلك فى حدود إمكانياتها ، وبالتالى فقد حققت الهدف السياسى المباشر وهو كسر جمود الموقف السياسى لذا كان على السادات أن يبدأ عمله السياسى فى إطار استكمال الهدف الاستراتيجى الشامل وهو تحرير سيناء .

رسالة إلى كيسنجر يدينون بها السادات !

قرر الرئيس السادات ، يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، إقامة اتصال مباشر مع الأمريكيين وذلك عن طريق تكليفه «حافظ إسماعيل» مستشار الأمن القومى بإرسال رسالة إلى نظيره الأمريكى «هنرى كيسنجر» أوضح فيها السادات هدفه من الحرب وهو إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية مع تحقيق تسوية سلمية شاملة لا جزئية فى الشرق الأوسط ، غير أن كثيرين علقوا على جملة فى الرسالة اعتبروها خطيرة للغاية ! وهى « لا تعتزم مصر تعميق الاشتباكات ، أو توسيع المواجهة » واعتبرها الأستاذ الكبير «محمد حسنين هيكل» وغيره أن ذلك خطأ سياسى فادح من الرئيس السادات ! وآثاروا عليها ضجة كبرى حيث زعموا أن السادات بذلك أفشى نوايا الهجوم ومداه وأهدافه للعدو الإسرائيلى عن طريق حليفه الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو ما أدى إلى تصرف كل منهما على هذا الأساس ، الأمريكيون سياسياً بمشاغلة المصريين ووعدهم بتحقيق التسوية ، وإسرائيل عسكرياً وذلك باستعدادها لشن هجوم مضاد لضمانها عدم تقدم المصريين أكثر مما حازوا ! ، وبالطبع كان هذا التحليل فاسداً وعامداً إلى تشويه السادات إلى حد بعيد لعدة أسباب : فالرئيس السادات كان كل مغزاه من الرسالة هو أن يحسن علاقاته مع الأمريكان وإمكانية تحييدها فى الأدوار الدبلوماسية القادمة وقد أوضح كيسنجر ذلك فى مذكراته حينما قال: « عندما أقمنا جسراً جوياً

وأرسلنا السلاح المطلوب لإسرائيل ، وأصبحت الحرب تميل لغير مصر ، فعلى الرغم من كل هذا لم نشعر بوجود ضغينة فى مصر ضد أمريكا وكان هذا حسن تصرف منه – يقصد السادات – حتى لا يستميلنا إلى جانب إسرائيل فى الأدوار الدبلوماسية المقبلة.. ويمكن اعتبار هذا تفهماً رائعاً للأمور من وريث عبد الناصر ، بعد مرور عشرين عاماً من العداوة » .

وكان السادات يعلم استحالة أن توافق الولايات المتحدة على الشروط الواردة فى الرسالة أو حتى تفكر فيها فى هذا الوقت المبكر من الحرب « ٧ أكتوبر» حيث لم يتضح بعد المواقف والنتائج النهاية للصراع العسكرى بين قوات الجبهتين والذى يستحدد على معالمه شكل التحرك السياسى المنتظر ويؤكد هذا «كيسنجر» أيضا فى كتابه «الأزمة» فى إطار حديثه للرئيس «نيكسون» عن رسالة السادات ثانى أيام الحرب حيث قال لنيكسون « لقد أرسل لى إسماعيل رسالة تقترح إطارا للمفاوضات وهو «ليس مناسبًا بعد» ..... يجب علينا أولا وقف الحرب وبعد ذلك تأتى الدبلوماسية » ولذا كان هدف السادات هو حقيقة وصول الرسالة كخطوة غير معتادة ستفيده بلا شك فى المفاوضات السياسية القادمة وليس محتوى الرسالة الذى ركز البعض نقدهم عليه كما أراد السادات أن يقول لأمريكا أن هدف الحرب هو استعادة الأراضى العربية وليس القضاء على إسرائيل وهكذا كانت دائما استراتيجية السادات السياسية والتى كانت ذات رؤية مستقبلية بدت غامضة ومستفزة للكثير من معاصريه ، وقد يبدوا تحليلهم مقبولاً لو أن السادات لم يعمق هجومه بالفعل ووقف عند آخر نقطة احتلها فى هذا اليوم « ٧ أكتوبر» إلا أن القوات المصرية واصلت تدفقها عبر سيناء لتعميق رؤوس كباريها واستطاعت خلال يومى ٩ ، ٨ أكتوبر توسيع الكبارى لتصل إلى عمق «١٠-١٥كم» بعد أن كانت بعمق «٥ -٨كم» فى ٧ أكتوبر يوم إرسال الرسالة الخطيرة كما يقولون ! ثم على أى أساس كان يطلب السادات فى نفس يوم إرسال الرسالة جسرًا جويًا

سوفييتيًا من السفير السوفييتى الذى بدأ تدفقه من ٩أكتوبر والذى ردت عليه أمريكا بجسر جوى ضخم لإسرائيل خسرت به الكثير من الأموال كما دفعت العرب لحظر البترول عنها وهى تدرك -كما يزعمون- من أن مصر لن توسع نطاق المواجهة ! هل كان كل هذا عدم توسيع مواجهة من وجهة نظرهم ! ثم منذ متى وطبقاً لأى سياسة سليمة أن يصدق القادة كل ما يعلنه الأعداء من تصريحات ورسائل ! فمن المعروف أن كل طرف يسعى إلى تضليل الطرف الآخر بأى وسيلة ، وهل سيعتمد الأمريكيون على رسائل السادات التى تبين لهم حدود أوضاع قواته أم على رسائل وصور الاستطلاع الجوى والأقمار الصناعية التى يمتلكونها والتى تحدد بدقة أوضاع القوات المتحاربة ! وما هى الذكرى الطيبة التى يحملونها للسادات لكى يصدقوه خاصة وأنه تفنن فى خداعهم طوال عام كامل بأنه لن يحارب ثم فاجأهم بالحرب ! إنها أسئلة ليس لها إلا إجابة واحدة تقودنا إلى خطأ تصور الأستاذ «هيكل» ومؤيديه لفحوى الرسالة . وطُلب من الرئيس السادات أكثر من مرة وقف إطلاق النار ولكنه رفض وربط وقف إطلاق النار بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية فما الذى يدعو مصر إلى وقف إطلاق النار فى الوقت الذى كانت قواتنا المسلحة تحقق النجاح تلو الآخر منذ بدء الحرب وتستنزف العدو من تحت مظلتها الصاروخية . كان الرئيس السادات يرمى إلى أفضل استثمار للنصر العسكرى فى تحركه السياسى .

الوقفة التعبوية الطويلة :

كانت القوات المصرية قد حققت المرحلة الأولى من الخطة «بدر» بنهاية يوم ٩ أكتوبر وكان عليها أن تنتقل للمرحلة التالية بعد وقفة تعبوية أو «بدونها» حسب الموقف وهى تطوير الهجوم شرقاً للوصول إلى خط المضائق ، وكان من الواضح أن الوضع والموقف على الجبهة يشير إلى ضرورة تطوير الهجوم شرقاً وعدم إطالة زمن الوقفة التعبوية استغلالاً للروح المعنوية العالية للقوات ، واستثماراً للارتباك الذى

يسود القيادات الإسرائيلية ، واستمراراً للحفاظ على المبادأة من الجانب المصرى ، وعدم تسليمها للقوات الإسرائيلية ، وحرمان العدو من أى وقت يستطيع فيه تجهيز قواته وتنظيم دفاع قوى مجهز بعد خط بارليف ، إلا أن الفريق «أحمد إسماعيل» آثر إجراء وقفة تعبوية يتم فيها تعزيز رؤوس الكبارى وتدعيمها واستغلال الدفاع الجوى الجيد الذى تتمتع به القوات داخل رؤوس الكبارى فى إسقاط أكبر عدد من الطائرات الإسرائيلية واستنزافها والتى من المؤكد أنها ستهاجم القوات خلال الوقفة وكان وزير الحربية شديد الحذر بصفة مبالغ فيها فيما يخص تأمين رؤوس الكبارى الأمر الذى أدى إلى البطء فى تنفيذ خطة تطوير الهجوم نحو الشرق . وكان يساند هذا الرأى رئيس الأركان الفريق «الشاذلى» (كان يعارض التخطيط للوصول إلى المضايق الجبلية الغربية لسيناء أصلاً) بينما كان من مؤيدي الاستمرار في الهجوم ، رئيس هيئة العمليات اللواء «الجمسى» حيث كان يرى ضرورة استغلال الموقف لتطوير الهجوم شرقاً طبقاً للخطة دون أن نتوقف طويلاً حتى نحرم العدو من فرصة تدعيم مواقعه أمام قوات الجيش . وهذا يعنى أن استئناف الهجوم يتم فى الظرف الأفضل لنا والأسوأ للعدو . وكان رئيس هيئة العمليات محقاً فى رأيه ؛ حيث سنرى من خلال سير القتال أن إطالة زمن الوقفة التعبوية سيتيح للقوات الإسرائيلية وقتا كافياً لتنظيم صفوفها من جديد وتحسين أوضاعها على الجبهتين المصرية والسورية وانتقال المبادأة لديها لأول مرة منذ نشوب القتال الأمر الذى سيؤثر على نجاح عملية تطوير الهجوم فيما بعد .

الجسر الأمريكى لإنقاذ إسرائيل

لم تكف أمريكا عن مساندة إسرائيل سياسياً وعسكرياً منذ بدء نشوب القتال ورغم ذلك استطاعت قواتنا المسلحة إيقاع خسائر فادحة وجسيمة فى الجانب الإسرائيلى طوال أسبوعين من القتال الأمر الذى دفع «جولدا مائير» رئيسة الوزراء الإسرائيلية إلى الاستغاثة بالرئيس الأمريكى «نيكسون» الذى كان يعانى وقتها من

إخفاقه فى حرب فيتنام واتهامه فى فضيحة «ووترجيت» مما جعله فى موقف صعب أما اللوبى اليهودى فكان قراره بإنشاء جسر جوى أمريكى ضخم تستخدم فيه طائرات النقل العسكرية الأمريكية العملاقة لنقل كل ما تحتاجه إسرائيل من أسلحة وعتاد متقدم ، إلى ميدان القتال مباشرة ، مستخدمة ٢٢٨ طائرة نقل[١] نفذت ٥٦٩ طلعة ، نقلت خلالها ٢٢،٥ ألف طن احتياجات ، واستمر هذا الجسر ٣٣ يوماً (١٣ أكتوبر - ١٤ نوفمبر ١٩٧٣) ، هذا بخلاف ما تم شحنه بحراً والذى بلغ ٣٣٢١٠ طن ، وكانت الولايات المتحدة تعلم أنها ستدان بلا شك على هذا الإجراء بغض النظر عن حجمه زاد أوقل لذا فكانت سياستها فى هذا الجسر هو ما قاله كيسنجر « سوف يتم توجيه اللوم لنا لإرسالنا ثلاث طائرات تماماً كما سيتم توجيه اللوم لنا لو أرسلنا ثلاثمائة طائرة . لن ندع الروس يتصرفون هناك بحرية » وأن « الولايات المتحدة لن تسمح للسلاح السوفييتى أن ينتصر على السلاح الأمريكى مرة أخرى[٢] » وهكذا فتحت المخازن والمستودعات الأمريكية على مصراعيها فهى فى كل الأحوال مدانة سواء أرسلت قليل أو كثير ، وبالطبع يوضح حجم هذا الجسر الجوى الغير مسبوق مدى ما تعرضت له إسرائيل من خسائر فادحة ، وبالطبع شمل الجسر معدات الكترونية وأجهزة التشويش على الرادارات وكل ما أفرزته التكنولوجيا فى ذلك الوقت ، وقد قالت «مائير» عن الجسر الجوى

(١) كانت أبرز هذه الطائرات طائرات « الجلاكسى » العملاقة ، وهى أضخم طائرة نقل عرفها العالم ، وعندما تقف على سطح الأرض فإنها تشغل مساحة تماثل نصف مساحة ملعب كرة قدم ، ويرتفع السطح العلوى لذيل هذه الطائرة إلى ما يوازى ارتفاع عمارة من ٧ طوابق ! حتى أن جولدا مائير عندما شاهدتها انبهرت من منظرها وضخامتها ، وكانت هذه الطائرات تهبط فى مطار اللد بالعريش بمعدل طائرة كل ١٥ دقيقة !.

(٢) كانت المرة الأولى هى الحرب الهندية الباكستانية التى انتصرت فيها الهند حليفة الاتحاد السوفييتى ، وقد صرح كيسنجر لهيكل فيما بعد « لايمكن للولايات المتحدة اليوم أو غداً أن تسمح للأسلحة السوفييتية بأن تحرز نصراً كبيراً على الأسلحة الأمريكية حتى وإن لم يكن هذا النصر حاسما . وهذه المسألة لا تتصل بكم أو بإسرائيل بل هى تتصل مباشرة بتوازن القوى بين الدولتين العظميين » .

الأمريكى : « إن الشعب الإسرائيلى لا يمكنه أن ينسى أبداً تلك الطائرات الأمريكية التى أعادت له الحياة » . ومن الملاحظ أن هذا الجسر قد بدأ من يوم ١٣ أكتوبر وهو اليوم السابق لتطوير الهجوم المصرى شرقا نحو المضايق والذى تصدت له إسرائيل ، كما أن أبرز الأيام التى تميزت بضخامة حجم المجهود الجوى المخصص للنقل إلى إسرائيل هى أيام الفترة التى حدثت فيها «ثغرة الدفرسوار» وهذا يعطينا دليلاً دامغًا أن أحد الأسباب الرئيسية للثغرة هو تدخل أمريكا فى الحرب .

الموقف على الجبهة السورية :

كان على السوريين التقدم بسرعة كبيرة ومتواصلة دون توقف على عكس المصريين المرتبطين بطبيعة سيناء الطبوغرافية ؛ نظراً لطبيعة الاختلاف الجغرافى والاستراتيجى بين الجبهة المصرية والسورية فقد تميزت الجبهة السورية على الجبهة المصرية بعدم وجود مساحات مائية كقناة السويس مثلا فى سيناء أو مساحات صحراوية تحجز مابين القوات السورية والإسرائيلية بالإضافة إلى صغر عمق الجولان الذى لا يزيد عن ٢٥ كم بالنسبة لعمق سيناء الذى يصل إلى ٢٠٠ كم فلا يوجد أى مجال للتوقف لذا كان على المدرعات السورية أن تواصل تقدمها إلى أن تصل لنهر الأردن لتحرر الجولان ومن الصعب على إسرائيل ردها إذا وصلت لهذه المرحلة حيث تستطيع تهديد الكثافة السكانية في شمال إسرائيل والأهداف الهامة والحيوية بها، مثل القرى والمدن ، ومطارات رامات دافيد والمطلة وصفد وطبرية ، ومشروع تحويل نهر الأردن ، لوقوعها جميعاً في مدى رمى المدفعية والصواريخ بعيدة المدى السورية ، وهو ما أدركه الإسرائيليون فى الأيام الأولى لذلك فقد نقلوا مجودهم الرئيسى إلى هضبة الجولان بعد أن كان مركزا على الجبهة المصرية فى البداية لأن وصول السوريين إلى هذه المرحلة لا يهدد إسرائيل بخطر الهزيمة فقط وإنما سيهدد الوجود الإسرائيلى ذاته ، ولذلك فبينما كانت الجبهة السورية تحقق نجاحات على جبهتها حتى استطاعت تحرير نصف الجولان فى اليومين الأوليين مستغلة

عنصر المفاجأة وفضل المبادأة Initiative وسرعة اندفاعها استطاعت إسرائيل أن تغير الموقف للنقيض واستطاعت صد الهجوم السورى وإيقافه تماماً ، وانتزعت المبادأة ، وانتقلت إلى الهجوم المضاد وبدأت في الضغط على القوات السورية ، لإجبارها على الارتداد حتى استطاعت إسرائيل إلى استرداد الأراضى التى خسرتها والوصول إلى خط وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧ والمعروف باسم الخط الأرجواني والذى بدأ منه السوريون الهجوم ، أى عاد الوضع إلى ماكان عليه قبل الحرب ! ، أى عاد الوضع وواصل الإسرائيليون تقدمهم حتى كانت دمشق فى مرمى المدفعية الإسرائيلية وقصفتها فى ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ . وكان الإسرائيليون قد أشاروا إلى أسباب تراجع الهجوم السورى وفشله بعد أن اكتسب نصرا سريعا فى بداية المعركة وقالوا أن أبرز الأسباب كان افتقار سوريا إلى قيادة وسيطرة يناسب حجم قواتها في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وهذا ما كلفها الكثير وهو ما أدى إلى أن العديد من الوحدات تقدمت دون سيطرة كما أنهم لم يكن لديهم قدرات استطلاع جوي حقيقية ، أو قدرة على تخطيط المهام وزجوا بطائراتهم في القتال ، مستخدمين طلعات جوية ، كانت السيطرة عليها فقيرة ، وألقت بمقاتلاتها في وجه قوة مقاتلات إسرائيلية أعلى تدريباً ، وأحسن تنظيماً .

تطوير الهجوم شرقاً نحو المضايق :

نتيجة للموقف السيئ للقوات السورية في الجولان ، والضغط الإسرائيلي عليها ؛ فى ١١ أكتوبر أرسل الرئيس «حافظ الأسد» إلى الرئيس السادات يطلب منه ضرورة أن تطور القوات المصرية هجومها شرقاً عبر سيناء بأقصى سرعة ، حتى يضطر الإسرائيليون لسحب جزء من قواتهم من الجبهة السورية ، التي يركزون عليها. فى اليوم التالى مباشرة أصدر الرئيس «السادات» أمراً إلى وزير الحربية ، بتطوير الهجوم شرقاً على الجبهة المصرية ، لتخفيف الضغط على الجبهة السورية . أمر القائد العام بتطوير الهجوم يوم ١٣ أكتوبر ، «مع تأمين رؤوس الكباري» .

ولكن لأسباب فنية عسكرية طورت القوات هجومها يوم ١٤ بدلاً من يوم ١٣ أكتوبر . وضعت خطة جديدة للتطوير تختلف عن الخطة الأصلية نتيجة للقيد الذى وضعه وزير الحربية وهو «التمسك برؤوس الكباري شرق القناة» نتيجة لحذره الشديد ، وبالتالى وضعت الخطة الجديدة فى ضوء هذا القيد ، حيث لن تكون القوات المشاركة فى التطوير بنفس الحجم والكثافة التى كان مقرراً أن تشارك بها فى الخطة الأصلية حيث كانت تتضمن تحرك الخط الدفاعى المصرى بأكمله من منطقة رؤوس الكبارى على عمق ١٠ – ١٢ كيلو متراً شرق القناة إلى خط المضايق ، ولكن تم دفع مفارز أمامية تم تخصيص معظمها من الفرقتين ٢١ المدرعة (قطاع الجيش الثانى) والفرقة ٤ (قطاع الجيش الثالث) من غرب القناة إلى شرق القناة لتطوير الهجوم مع عدم المساس بالفرق الخمس شرق القناة لضمان تأمين رؤوس الكبارى .

كانت طائرة أمريكية قد اخترقت مجالنا الجوى فى ١٣ أكتوبر وقامت بجولة شاملة لكل الجبهة المصرية واستطاعت أن تلتقط صورا لأوضاع قواتنا بدقة ولم يستطع دفاعنا الجوى التصدى لها لأنها تطير خارج مدى صواريخه كما أن مقاتلتنا لا تستطيع اللحاق بها لأنها كانت تحلق بما يعادل ثلاثة أمثال سرعة الصوت (٣ماخ) ، وبذلك حصلت إسرائيل على معلومات كاملة عن أوضاع القوات المصرية شرق وغرب القناة ، خاصة أوضاع قوات التطوير ، وكان هذا الاستطلاع الجوى الأمريكى أول تدخل عسكرى علنى لأمريكا فى الحرب لصالح إسرائيل وبهذا أصبحت إسرائيل تعرف بدقة أوضاع القوات على الخطوط الدفاعية ، والثغرات بينها ، وحجم القوات المتبقية في الغرب ، وأوضاعها كذلك . بدأ تطوير الهجوم المصرى فى ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ إلا أنه منى بالفشل وواجه مقاومة شديدة من الإسرائيلين نتيجة لمعرفة إسرائيل لنتائج الاستطلاع الجوي الأمريكية واطلاعها على السيناريو المتوقع للهجوم المصرى مسبقاً إلى جانب عدم كثافة القوات المصرية المشاركة فى التطوير مقارنة بالقوات الإسرائيلية على الجانب الآخر ؛ ونتيجة لفشل

الهجوم تم سحب القوات المصرية المشاركة فى التطوير مرة أخرى داخل رؤوس الكباري ، وبفشل تطوير الهجوم انتقل عنصر المبادأة لأول مرة منذ نشوب الحرب فى أيدى القوات الإسرائيلية مما مكنها من تجهيز قواتها لتنفيذ هجوم مضاد عرف باسم عملية «الثغرة» .

قرار تطوير الهجوم شرقاً فى الميزان

لم يكن قرار السادات بتطوير الهجوم شرقاً إلا تنفيذاً للمرحلة الثانية للخطة «بدر» والتى كانت تستهدف الوصول إلى خط المضائق ، إلا أن القرار أُصدر فى التوقيت غير الصحيح وتم تنفيذه بالأسلوب غير الصحيح أيضاً ، وسبق أن أوضحنا ذلك . أثارت عملية تطوير الهجوم وتأخر تنفيذها وأسلوب تنفيذها أيضا الكثير من التساؤلات ؛ فالبعض تشكك فى أن يكون مخططاً أصلاً الاستمرار فى القتال للوصول للمضايق ، والبعض الآخر أخذ يحلل سبب فشل الهجوم وادعى أن القيادة المصرية أفخمت كل الاحتياطى غرب القناة فى عملية تطوير الهجوم مما كان له أكبر الأثر فى نجاح العبور الإسرائيلى غرب القناة فيما بعد ، كما ردد البعض إلى عدم توافر لدينا الإمكانات لتطوير الهجوم نحو الشرق وقد استند مؤيدو هذا الرأى إلى رأى الفريق «الشاذلى» الذى كان يردد دائما أنه كان معارضاً لخطة الوصول إلى المضائق سواء فى مرحلة التخطيط أو أثناء مرحلة إدارة العمليات الحربية بسبب تقيدنا بمدى حائط الصواريخ المصرى والذى كان قادراً على حماية قواتنا تحت مظلته بمسافة تتراوح بين ١٠ و ١٢ كيلومتراً شرق القناة ، وأن أى هجوم برى يتجاوز هذه المسافة سيؤدى إلى عواقب وخيمة حيث ستصبح قواتنا فى العراء دون غطاء جوى يحميها وستكون فريسة لطائرات العدو . وسنثبت أن هذه الآراء والتحليلات كلها خاطئة وتستند إلى أسباب واهية . أما الرأى الأول والذى يشكك فى وجود خطة فعالة للوصول إلى المضايق فيمكن الرد عليه بسهولة من خلال شهادة رئيس هيئة العمليات نفسها المخطط للعملية كلها حيث يقول اللواء

«الجمسى» « والحقيقة التى أقررها ، أن التخطيط لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، لم يكن قاصراً أبدًا على الاستيلاء على خط بارليف كهدف نهائى . بل كان التخطيط يهدف إلى تحقيق هدف استراتيجى عسكرى أبعد من ذلك وهو الوصول إلى خط المضايق والاستيلاء عليه كهدف نهائى » . هل يعتقد هؤلاء أن قواتنا بعد العبور وتحطيم خط بارليف ستقف عند هذه المرحلة ساكنة دون أن يكون لها مهمة تالية مخطط لها! ولو أن ذلك صحيح فقد حققت قواتنا تلك المرحلة بنهاية يوم ٩ أكتوبر فلماذا إذن لم يوافق السادات على وقف إطلاق النار منذ ذلك الوقت حتى قبل تطوير الهجوم . أما بالنسبة لرأى الفريق «الشاذلى» ومؤيديه فإن اللواء «الجمسى» نفسه يرد على الفريق «الشاذلى» قائلاً « إن خطة حرب أكتوبر قد وضعت بعد أن استغرق العمل فيها وقتاً طويلاً بواسطة هيئة عمليات القوات المسلحة ... ووافق عليها الفريق الشاذلى رئيس الأركان وصدق عليها الفريق أول أحمد إسماعيل القائد العام بتوقيع كل منهما مع توقيعى على وثائقها قبل الحرب بوقت طويل . وطالما أن الخطة وضعت لتحقيق هدف استراتيجى عسكرى هو الوصول إلى المضايق ، فليس من المستساغ أن يقول رئيس الأركان أنه كان ضد تطوير الهجوم إلى المضايق فى مرحلة التخطيط . » أما بالنسبة لنقطة عجز صواريخنا عن توفير الحماية لقواتنا البرية فى حالة تطوير الهجوم نحو المضايق ، فليس هناك رد أفضل من رد اللواء « محمد على فهمى » قائد قوات الدفاع الجوي فيقول فى معرض شهادته عن حرب أكتوبر « إن قواتنا كانت مستعدة للتطوير ، لا كما يدعى بعض المؤرخين ، أن القوات المسلحة لم تكن قادرة على ذلك حتى لاتخرج من تحت مدى مظلة الصواريخ . وتصور هؤلاء المؤرخون أن هذه المظلة قد ثبتت فى الأرض ، ولا يمكن تحريكها. والحقيقة أن الخطة كانت تنص على انتقالات يومية لكتائب الصواريخ المضادة للطائرات إلى شرق القناة ، وذلك بعدد يتراوح بين ٨ ، ١٠ كتائب .وقبل تطوير الهجوم يوم ١٤ أكتوبر تم نقل ٩ كتائب للشرق يوم ١٢ أكتوبر لمد المظلة لحماية القوات القائمة

بالتطوير . وبتنفيذ المهمة النهائية عند منطقة المضايق كان من المخطط أن تكون جميع لواءات الصواريخ المضادة للطائرات الموجودة غرب القناة قد انتقلت واحتلت مواقعها شرق القناة ، عدا لواءين للدفاع عن المعابر وقوات الاحتياطى العام .» كما يرى اللواء «الجمسى» فى مذكراته أن استئناف الهجوم يترتب عليه التحام قواتنا مع قوات العدو ، الأمر الذى سيجعل تأثير السلاح الجوى الإسرائيلي أقل . ومن هنا يتضح أن قرار تطوير الهجوم لم يكن خطأً فى حد ذاته ولكن توقيته وتنفيذه كان خاطئًا فكانت نتائجه مخيبة للآمال .

هل كان السادات مسئولا عن ثغرة الدفرسوار:

لم تكن عملية الثغرة بالضخامة التى صورها الإعلام الإسرائيلى كما أنها لم تكن مجرد معركة تليفزيونية[1] كما صورها الرئيس السادات وإن أراد بهذا الوصف عدم تشويه إنجاز العبور العظيم . كان يهم أمريكا أن تستطيع إسرائيل أن تحقق أى نجاح على الجبهة المصرية قبل وقف إطلاق النار حتى يتحسن موقف إسرائيل أثناء المفوضات وللحفاظ على هيبة السلاح الأمريكى فى منطقة الشرق الأوسط وكانت إسرائيل هى الأخرى على استعداد للقيام بمغامرة عسكرية تنقذ بها سمعتها وتحفظ ماء وجه الجيش الذى لا يقهر أمام العالم و تحقق لها مكاسب سياسية وإعلامية ، مثل استيلائها مثلاً على أحد مدن القناة والمعروفة عالمياً لارتباطها بقناة السويس ، وحصار القوات المصرية ، فى رؤوس الكباري شرق القناة ، وتدمير بطاريات الصواريخ المصرية لفتح الطريق أمام الطيران الإسرائيلى للعمل بحرية ، كانت هذه هى أهداف الخطة الإسرائيلية وكانت تنتظر الفرصة لتنفيذها وقد ناقشت القيادة العسكرية الإسرائيلية أكثر من مرة خطة اختراق الدفاعات المصرية والعبور من منطقة الدفرسوار لوجود ثغرة مقدارها ٣٥ كم بين رأس كوبرى الجيش الثالث

(١) أطلق هذا المصطلح الجنرال الفرنسى ((بوفر)) رئيس معهد الدراسات الاستراتيجية عندما زار السادات فى القناطر الخيرية أثناء الحرب ووجده السادات مناسباً لوصف الثغرة .

ورأس كوبرى الجيش الثانى على شاطئ البحيرة المرة خالية من القوات المصرية ونظرا لما يحققه الموقع من مزايا أخرى عديدة ، ولكن المشكلة التى كانت تواجه الإسرائيليين هى وجود غرب القناة الفرقة ٢١ المدرعة ، التي تحمي ظهر الجيش الثاني ، والفرقة الرابعة المدرعة ، التي تحمي ظهر الجيش الثالث .وإن بقاء هاتين الفرقتين في أماكنهما غربي القناة كفيل بأن يسحق أي اختراق يقوم به العدو على طول الجبهة ؛ لذا أحجم الإسرائيليون عن تنفيذ خطتهم انتظارا لتغير الأوضاع على الجبهة .قامت طائرة الاستطلاع الأمريكية بنفس الجولة مرة أخرى يوم ١٥ أكتوبر وبالطبع نقلت نتائج الاستطلاع كاملة لإسرائيل ومنها انتقال الفرقة المدرعة٢١ إلى شرق القناة وأصبحت إسرائيل تعرف بدقة أوضاع القوات المصرية شرق وغرب القناة خاصة أوضاع قوات التطوير ، كما أصبحت تعلم أوضاع القوات على الخطوط الدفاعية ، والثغرات بينها ، وحجم وأوضاع القوات المتبقية في الغرب ومن هنا نلاحظ أن أمريكا بدأت تنزل بثقلها إلى المعركة لتواجه مصر إسرائيل والولايات المتحدة ! فبعدما طورت قواتنا هجومها فى سيناء يوم ١٤ أكتوبر لتطوير الهجوم واستطاعت إسرائيل صده وإلحاق خسائر بالغة به نتيجة معرفة إسرائيل المسبقة بالهجوم المصرى من خلال المعلومات التى استقتها من الاستطلاع الأمريكى للجبهة كلها ، وبعد فشل الهجوم المصرى أعطت إسرائيل الضوء الأخضر للجنرال «شارون» لتنفيذ خطة الثغرة التى تحمل الاسم العبرى Abiray Lev ويعنى «القلب الشجاع» وليس «الغزالة» Gazelle كما هو مشهور[1] واستطاع «شارون» التسلل إلى غرب القناة فى جنح الظلام بعد قتال عنيف ومعه حوالى ٢٠٠ من المظليين واحتمى فى منطقة أشجار كثيفة ثم أخذت الدبابات

(١) انتشرت تسمية الغزالة بين العديد من كتب العسكريين والمؤرخين نتيجة ترجمة خطأ من العبرية إلى الإنجليزية وقع فيها أحد مراسلى وكالات الأنباء الغربية كما يذكر – اللواء جمال حماد – فى كتابه: المعارك الحربية على الجبهة المصرية .

والمدرعات فى العبور بعد وصول العوامات وفى صباح ١٦ أكتوبر كان للعدو غرب القناة حوالى ٣٠ دبابة (كتيبة دبابات) وكان البلاغ الأول الذى وصل لمركز عمليات القوات المسلحة من قائد الجيش الثانى يفيد بعبور عدد محدود من الدبابات (٧- ١٠) وبالتالى كان التقدير الخاطئ من جانب قائد الجيش الثانى لحجم القوات التى عبرت غرب القناة هو أول الأخطاء المصرية فى موضوع الثغرة حيث ساعد هذا البلاغ على التهوين من أمر الثغرة وعدم التعامل معها بجدية منذ حدوثها ولكن «شارون» كان فى وضع خطير للغاية حيث كانت قواته غرب القناة معزولة تماما ولكنه أغار هو ورجاله على عدد من بطاريات الصواريخ متخذا من الأشجار الكثيرة في المنطقة المزروعة غرب القناة ستاراً له فظهرت فجوة Gap صغيرة عارية من نيران الدفاع الجوى مما سمح للطيران الإسرائيلى لأول مرة الفرصة فى التحليق فى هذه المنطقة بسهولة فركز هجماته على شريحة الأرض الواقعة تحت هذه الفجوة وبعد مقاومة عنيفة وخسائر فادحة على الجانبين المصرى و الإسرائيلى نجح العدو فى ١٧ أكتوبر فى بناء أول كوبرى له فى منطقة الدفرسوار وفى مساء ١٨ أكتوبر كان للعدو فرقتان مدرعتان غرب القناة وإزاء هذا الموقف الخطير احتمع الرئيس السادات بقادته للبت فى أمر الثغرة نظراً لأنهم رأوا استدعاءه بعد اختلافهم فى كيفية التعامل مع الثغرة وكان من رأى الفريق «الشاذلى» ضرورة سحب أربع ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب لمواجهة تهديد العدو الموجود غرب القناة إلا أنه صمت، ولم يعبر عن رأيه أمام السادات إلا أن القائد العام «أحمد إسماعيل» كان قد أطلعه على رأى الفريق «الشاذلى» قبل الاجتماع ، بينما رأى بقية القادة ضرورة الإبقاء على قواتنا شرق القناة كما هى دون سحب أى قوات رئيسية منها لأن سحب اللواءات المصرية من الشرق إلى الغرب سيؤثر على دفاعاتنا فى الشرق ولا يجب تعريض الإنجاز العسكرى الذى تحقق بوجود قواتنا فى سيناء إلى أى تهديد ، بجانب أن سحب بعض اللواءات من الشرق إلى الغرب سيؤثر معنوياً

على قواتنا التى ستظن أننا ننسحب وسيعود شبح الانسحاب من سيناء فى أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧ يسيطر عليهم ؛ وبناء على شرح القادة للموقف أصدر الرئيس السادات قراره « بعدم سحب أى جندى واحد من الشرق مع احتواء قوات العدو فى الغرب » ويقول المشير «الجمسى» عن هذا القرار « وما زلت أقول حتى هذا اليوم أن هذا القرار من وجهة نظرى كان صحيحاً وسليما لمواجهة الموقف الذى كان يواجهنا » كما قرر السادات أيضا قبول وقف إطلاق النار وبعث بذلك للرئيس حافظ الأسد ، ورأى الرئيس أنه حان الوقت لذلك خصوصاً بعد تدخل أمريكا بكل قوتها لتغيير مسار الحرب لصالح إسرائيل بعدما عانت الويلات وتجرعت كأس الهزيمة من الجيش المصرى ، وكان الرئيس واقعياً لأبعد حد وبعيد عن الحماسات الطائشة والمتاجرة بالشعارات أعلن الرئيس أنه غير مستعد لمحاربة أمريكا ورأى عدم المغامرة بالإنجاز الذى حققه جنودنا فى الشرق وضرورة الحفاظ عليه لاستثمار نتائجه فى المفاوضات السياسية ، وعلى الجانب الآخر كان الفريق «الشاذلى» قد أوضح أن عدم استجابة الرئيس السادات لسحب الألوية من شرق القناة كانت سبباً فى استفحال أمر الثغرة بالإضافة إلى قراره السابق بتطوير الهجوم ودفع الفرقتين المدرعتين ٢١ و ٤ على سيناء والتى تمثل الاحتياطى لنا غرب القناة والذى كان سببا فى نجاح عملية الثغرة ! وبالتالى فقد حمل الفريق «الشاذلى» الرئيس السادات مسئولية الثغرة من الألف إلى الياء متعللاً بأن قراراته السياسية الخاطئة هى السبب ! ولا أعرف ماذا كان ينتظر الفريق «الشاذلى» من الرئيس السادات وهو يرى كل القادة معارضين لاقتراحه بسحب الألوية من شرق القناة ، كان من الطبيعى أن يأخذ الرئيس السادات برأى أغلب القادة ، كما أن صمت الفريق «الشاذلى» عن الكلام أثناء الاجتماع يثير الدهشة خاصة وانه برر سكوته بأن الرئيس قد أخذ رأى الجميع ولم يأخذ رأيه، وأنه اتخذ قراره ولا مجال للمناقشة ! ولا أعلم لماذا لم يشرح الفريق «الشاذلى» وجهة نظره أمام الرئيس السادات خاصة وأنه أمر

عسكرى بحت ويحتاج الرئيس فيه إلى استماع رأى جميع القادة وتحليلاتهم فربما يقتنع السادات برأيه كما اقتنع برأيه قبل ذلك فى نظرية الحرب المحدودة ، وللشاذلى عبقريه عسكرية لا يمكن تجاهلها ، كما وصف الفريق «الشاذلى» القرار بأنه غير قابل للنقاش وربما ذلك يكون صحيحاً لو كان القرار سياسياً خاصة وأن السادات رأس القيادة السياسية مثل طرد السوفييت الذى اعتبره السادات غير قابل للمناقشة ، أو قراراً له أبعاد سياسية وقومية مثل قرار السادات بتطوير الهجوم بأقصى سرعة فى توقيت غير ملائم لاقى معارضة أغلب القادة العسكريين ، إلا أن قرار كيفية التعامل مع الثغرة أمر عسكرى بحت ويحتاج إلى الكثير من المناقشة للوصول إلى القرار الأمثل وهو ما فعله السادات واستمع لأراء جميع القادة إلا أن الفريق «الشاذلى» لم ينطق بأى شئ ، وهو نفس ما فعله السادات قبل ذلك حينما استمع لأراء القادة حول خطة الحرب واستطاع الفريق «الشاذلى» نفسه أن يقنعه برأيه بالحرب المحدودة رغم أن السادات كان قد اتفق مع الفريق «صادق» أن تكون الحرب شاملة ، فلماذا اعتبر الفريق «الشاذلى» القرار قابل للمناقشة فى هذه المرة واستطاع أن يعارض رأى وزير الحربية ويقنع السادات برأيه ولم يعتبر قرار الثغرة قابلاً للمناقشة ولم يبد رأيه للسادات فى الاجتماع ثم جاء بعد مرور سنوات عن الحرب ليتهم السادات بخطأ قراره ! ومن الواضح أن الخلافات بين الفريق «الشاذلى» و«أحمد إسماعيل» القائد العام حالت دون التعامل السريع والتعاون المنسق للتعامل مع الثغرة ، وصمم الفريق «الشاذلى» على حضور رئيس الجمهورية ليأخذ قراره فى هذا الأمر مع كون هذا أمر عسكرى استحدث على الجبهة ويحتاج العسكريون بفكرهم وخططهم السريعة وتعاونهم دون الانتظار للقائد السياسى الذى لن يكون ملما بالوضع أكثر منهم ، ولو اتفق الفريق «الشاذلى» مع رأى القادة جميعا لما تكلف الوضع كل هذا العناء وانتظار رأى رجل سياسى فى أمر عسكرى ! ولكن الفريق «الشاذلى» ألقى عن كاهله أى مسؤولية تجاه الثغرة وحمل الرئيس

السادات الذى طلب الفريق «الشاذلى» رأيه المسئولية كلها ! . لا نعفى السادات من المسؤولية باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة ؛ فلاشك أن قراره السياسى بتطوير الهجوم الذى لم يخالفه التوفيق كان بمثابة الضوء الأخضر للإسرائيليين للقيام بغمامرتهم العسكرية بالعبور غرب القناة ، وبالتالى فإن مسؤولية السادات كلها تنحصر فى نقطة واحدة وهى أنه أعطى الفرصة للإسرائيليين لتنفيذ خطتهم ، إلا إنه من المجحف أن نحمله مسؤولية نجاحها ، فنجاح العبور الإسرائيلى غرب القناة مرتبط بأخطاء عسكرية لا دخل للسادات فيها مطلقاً ، وقد اعترف بذلك الفريق «أحمد إسماعيل» ، كما أن اللواء «الجمسى» كان يرى أن عدم دقة المعلومات التى وصلتهم عن الثغرة بالاضافة إلى الجسر الجوى الأمريكى والتدخل الأمريكى فى الحرب من العوامل الرئيسية فى حدوث الثغرة . كما أسلفنا كانت نتيجة قرار تطوير الهجوم من جانب السادات «عاملاً مشجعاً» وأعطت الضوء الأخضر للإسرائيليين للقيام بعملية اختراق Penetration لنقطة ضعيفة فى الدفاعات المصرية إلا إنها لم تكن أبدا سبباً فى نجاحها وقد يكون ذلك صحيحاً لو أن القيادة المصرية أقحمت بالفعل كل الاحتياطى غرب القناة فى عملية تطوير الهجوم مما يساعد الإسرائيليين على توسيع الثغرة غرب القناة دون مقاومة تذكر نظراً لعدم وجود الإحتياطى ولكن الصحيح أننا لم نفعل ذلك فاللواء «الجمسى» يقول : أن « الجيش الثانى دفع الفرقة ٢١ مدرعة لتطوير الهجوم بينما احتفظ بالفرقة ٢٣ الميكانيكية ولواء مظلات ومجموعة صاعقة فى احتياطى الجيش فى الجانب الغربى للقناة . أما الجيش الثالث فقد استخدم لواءا مدرعا واحدا من الفرقة ٤ المدرعة للاشتراك فى تطوير الهجوم ، وظلت باقى الفرقة ٤ المدرعة فى الاحتياطى بالجانب الغربى للقناة » هذا بالإضافة إلى اللواء ٢٣ مدرع الموجود فى شرق القاهرة ضمن احتياطى القادة العامة ألم تكن تلك القوات غرب القناة بقادرة على تصفية الثغرة منذ اللحظة الأولى خاصة وأن قوات العدو الأولية التى عبرت غرب القناة بقيادة

شارون لم تتجاوز لواء مظلات ولم يكن مدعوماً بالدبابات فى البداية ! أى أن أى قوة مصرية ضئيلة من احتياطينا غرب القناة كانت ستبيد هذه القوات المتسللة لو تعاملت معها فى البداية ولكن كان التقدير الخاطئ من الجانب المصرى لحجم القوات المتسللة غرب القناة هو السبب فى عدم التعامل مع الثغرة من بداياتها وقد يعتقد البعض أنه ربما السبب أن العملية فاجأت المصريين ولم يكونوا يتوقعونها ولكن من العجيب أيضاً أن القادة العسكريين وعلى رأسهم الفريق «الشاذلى» كانوا يتوقعون احتمال عبور إسرائيل من الشرق إلى الغرب بل توقعوا حتى الأماكن المحتمل أن يتم اختراقها من جانب العدو ووضعوا خططهم فى مواجهة ذلك ودربوا القوات عليها ! حتى أن شارون قائد الثغرة قال « لقد كان المصريون يتوقعون فى خططهم احتمال عبورنا لقناة السويس من الشرق إلى الغرب ، ولقد وقع ضابط المخابرات المصرى فى القطاع أسيراً فى يد قواتى ، وقد عثرنا معه على خريطة تحدد بالضبط مكان عبورنا المحتمل وخطتنا بعد العبور » ! ولكن الأمر كما أسلفنا هو سوء تقدير من البداية فكان من الواضح براءة السادات مما نسبه إليه الفريق الشاذلى .وبدأ التعامل مع الثغرة بجدية بعد قرار الرئيس السادات بتصفيتها بالقوات المتواجدة غرب القناة ورغم نجاح الإسرائيليين فى العبور غرب القناة إلا أنها أصيبت بخسائر فادحة وكانت فى وضع سيئ للغاية رغم خطورتها حيث كانت فى شريحة ضيقة من الأرض وبدا أن شارون وضع نفسه فى مأزق خطير فعسكريا فلا يعتبر هجوم شارون حتى ذلك الوقت أكثر من مجرد غارة على الدفاعات المصرية لن تدوم طويلا إذا لم تدعم وتوسع رقعة هجومها .

REPRODUCED AT THE
NATIONAL ARCHIVES

DECLASSIFIED
E.O. 12356, Sec. 3.6

By KW NARA, Date 7-17-03

SECRET/SENSITIVE
CODEWORD

3) A decision on additional A-4s and F-4s will be made tomorrow to take advantage of the present refueling arrangements.

4) A sealift of equipment should be begun immediately with the maximum number of ships loaded and on their way.

5) A decision on a request for a supplemental for military assistance to Israel, Cambodia and selected other countries will be made following discussion in a LIG meeting Thursday morning at 9:30 a.m.

****

Secretary Kissinger: May we have the briefing?

Mr. Colby: briefed from the text at Tab A.

Secretary Kissinger: Tom (Moorer), do you have anything?

Adm. Moorer: I think the Canal crossing of those Israeli tanks is nothing more than a raid on the Egyptian air defenses. I don't think they can survive long.

Secretary Kissinger: Can they knock out anything?

Adm. Moorer: Yes, they already have knocked out three of the SA-2s.

Mr. Sisco: I've got a crazy idea that they might be trying to draw in some Egyptian aircraft.

Adm. Moorer: Yes, I think they're trying to clear some of the SAM area, with a view to sucking in some of the Egyptian aircraft, engage them in dogfights and knock some of them off.

Mr. Colby: Can't we find out what they have in mind?

Adm. Moorer: Yes, we'll ask them. Also, I think the Israeli attacks on Port Said are in response to Sadat's remarks about the missiles. I don't think the Egyptians have any Egyptian missiles. The Israelis think the Soviets have given them some SCUDs, and we have seen some on the docks at Nicolai, but we have no proof that there are any in Egypt.

Mr. Clements: Did I see a report that the Israelis had put a commando force into Port Said?

TOP SECRET/SENSITIVE
CODEWORD

إحدى الوثائق السرية التى أفرجت عنها الولايات المتحدة خلال الأعوام الماضية وتشير الفقرة فى الوثيقة التى وضعت داخل الإطار المستطيل إلى رأى الأدميرال

«توماس موريير» من هيئة الأركان الأمريكية المشتركة عن الموقف الإسرائيلى غرب القناة فيقول : « أعتقد أن عبور الدبابات الإسرائيلية ليس أكثر من مجرد غارة على الدفاعات الجوية المصرية . لا أعتقد أن فى إمكانهم البقاء طويلا » .

حاول «شارون» التحرك لتوسيع رقعة هجومه قبل قرار وقف إطلاق النار وكان قد حاول الاستيلاء على مدينة الإسماعيلية ولكنه فشل وعاد مدحورا وفى ٢٢ أكتوبر كان موعد سريان وقف إطلاق النار، طبقاً لقرار مجلس الأمن الرقم ٣٣٨ وكان الإسرائيليون لم يحققوا أى هدف من هدفهم وكانوا فى وضع خطير للغاية وكان معنى وجودهم على هذه الخطوط هو فناؤهم ولهذا فعندما طلب اللواء «الجمسى» من الجنرال «أهارون ياريف» ضرورة انسحاب إسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر وذلك فى مباحثات «الكيلو ١٠١» بعد ذلك ، رد ياريف بخبث « عزيزى الجنرال إن كلينا عسكريان وأنت تعرف أننا لن ننسحب أبدا إلى خطوط ٢٢ أكتوبر .. ننسحب إلى الشرق فى سيناء ولكن ليس إلى خطوط ٢٢ أكتوبر » ! وهو ما حدث بالفعل حيث انسحبت إسرائيل إلى داخل سيناء ولم تقبل أن تحصر نفسها فى الدفرسوار وذلك بعد المفاوضات . ولم تحترم إسرائيل بطبيعتها قرار وقف إطلاق النار كما أنها كانت ملزمة بذلك لتحسين وضعها غرب القناة ولا شك أن «هنرى كيسنجر» لعب دورا رئيسيا فى تعطيل صدور قرار يلزم إسرائيل بوقف إطلاق النار حتى يتسنى للإسرائيليين تحقيق أى مكسب فى الغرب وحاولت القوات الإسرائيلية الاستيلاء على مدينة السويس وذلك ابتداءا من يوم ٢٤ أكتوبر فى ظل هدفهم لاحتلال مدينة لها شهرة تحقق لهما مكسبًا سياسيًا وإعلاميًا وعمل حركة أو مناورة التفاف OutFlanking Maneuver لتطويق الجيش الثالث ولكنها فشلت ومنيت بخسائر فادحة فى الدبابات والأفراد وذلك بفضل المقاومة الشعبية الباسلة لأبناء السويس، ومما هو جدير بالذكر أن «الإخوان المسلمين» بقيادة الشيخ حافظ سلامة قاموا بدور بطولى فى معركة السويس . وظلت القوات الإسرائيلية

محاصرة لمدينة السويس ، دون أن تحاول دخولها مرة أخرى ، حتى يوم ٢٨ أكتوبر وانتهاء القتال ، وكل ما استطاع الإسرائيليون فعله هو قطع طريق مصر - السويس الصحرواى - وقطع الإمدادات عن الجيش الثالث الميدانى وهذه الميزات التى حققها الجيش الإسرائيلى كانت بفضل اختراقه لقرار وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر حيث كان موقفهم فى غاية الصعوبة وقتها ، ومن هنا يتضح زيف الإعلام الإسرائيلى بأن قوات شارون فى طريقها إلى القاهرة ! ومن رحمة القدر بهم أنهم لم يتمكنوا من ذلك فليدخلوا إلى القاهرة بكثافتها السكانية العالية ليكونوا هشيما تذروه رياح ملايين البشر الذين يقطنون العاصمة خصوصاً وأنهم فشلوا فى دخول مدينة السويس التى لا تقارن كثافتها السكانية بالقاهرة ، وأن شارون البطل الإسرائيلى غامر بقواته غرب القناة وسبب لها خسائر فادحة ومما يؤكد كلامنا ما قاله «دافيد اليعازار» رئيس الأركان الإسرائيلى فى ٣ ديسمبر ١٩٧٣ عن العبور غرب القناة حيث قال : « ما زال شارون يواصل تصريحاته غير المسئولة للصحفيين محاولا أن ينتقص من جميع القادة ليظهر هو فى صورة البطل الوحيد ، هذا بالرغم من أنه يعلم جيدا أن عبورنا إلى الجانب الغربى من القناة كلفنا خسائر فادحة ، ومع ذلك فأننا لم نستطع طوال عشرة أيام من القتال أن نخضع أى جيش من الجيوش المصرية ، فالجيش الثانى صمد ومنعنا نهائيا من الوصول إلى مدينة الإسماعيلية ، وبالنسبة للجيش الثالث فإنه - برغم حصارنا له - فإنه قاوم بل تقدم واحتل بالفعل رقعة أوسع من الأراضى شرقا ، ومن ثم فإننا لا نستطيع أن نقول إننا هزمناه ..أو أخضعناه » . كم اعترف المؤرخ العسكرى الإسرائيلى المعروف «أورى ميلشتاين» فى حوار لإذاعة أورشليم الجديدة بمناسبة ذكرى أكتوبر بتلك الحقيقة واصفاً ثغرة الدفرسوار بأنها كانت «خطوة عسكرية استعراضية» لم تغير من نتيجة الهزيمة الإسرائيلية كما أنها كانت مجرد خطوة معنوية ، وتكشف عن خطة سيئة عسكريا وأن الادعاء بأنها دليل على الانتصار «كذب وتلفيق» ، وأكد أن الجيش المصرى

حقق أهدافه من الحرب . كما أنى لا أجد أفضل من اعتراف «شارون» نفسه بهزيمة إسرائيل ووضع قواته السيئ غرب القناة ، حيث أدلى «شارون» بشهادته حول الحرب فى حديث مطول مع «لويس هال» من مجلة «Foreign Affairs» عدد يناير ١٩٧٤[١]، وتحت فقرة بعنوان «Israel Lost» تعرض المجلة نص شهادة «شارون» كالتالى :

"I've completely realized that all Israeli troops at the west cost of suez canal are hostages for the egyptian troops at war restoration، and the troops disengagement agreement was signed by Israel under the pressure of this point" .

وهنا يصف «شارون» فى معرض شهادته وضع الإسرائيلين السيئ غرب القناة فيقول « إننى أدرك تماماً أن كل الجنود الإسرائيليين الموجودين فى الضفة الغربية لقناة السويس رهائن لدى الجنود المصريين فى حالة تجدد القتال ، واتفاق فصل القوات الذى وقعته إسرائيل تحت ضغط هذه النقطة ».

وهكذا انسحبت قوات الثغرة إلى سيناء ولو كان الإسرائيليون يشعرون أن بمقدورهم عمل شيء فى وضعهم غرب القناة ما فكروا فى الانسحاب مطلقاً ، لقد كانوا فى وضع سيئ عسكريا كما فرضت عليهم عزلة سياسية شبه كاملة بعد أن أدانت معظم دول العالم إسرائيل أثناء الحرب وأنها السبب فى خطورة الوضع فى الشرق الأوسط وقطعت معظم الدول الأفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل وهى العزلة التى خطط لها السادات قبل الحرب ونجح فيها وانفردت الولايات المتحدة بالدعم والمساندة الشاملة لإسرائيل عسكرياً وسياسياً لتضع تلك الحرب المجيدة أوزارها بتلقين الإسرائيليين درساً لن ينسوه ولتبدأ المرحلة الأخرى السلمية الذى خاضها السادات بعزم وإصرار حتى استرددنا سيناء كاملة.

(١) هذا العدد مترجم فى مجلة روز اليوسف عدد ٢٨ يناير ١٩٧٤ .

السادات والشاذلى والصراع بين العقلية السياسية والعقلية العسكرية

لقد علمتنا دروس التاريخ أن عادة عندما تُقحِم القيادات السياسية نفسها فى قرارات عسكرية بحتة أو أن يتولى الساسة قيادات عسكرية وهى ينقصها العلم العسكرى ولا تحترف العمل العسكرى فإن العواقب تكون وخيمة وأقرب مثال لنا كمصريين هو كارثة يونيو ١٩٦٧ عندما تولى أمور الجيش قادة سياسيون من الضباط الأحرار لم ينالوا حظهم من العلم والخبرة العسكرية ، ومن منطلق الحكمة نفسها فإن إقحام القيادة العسكرية نفسها فى السياسة بمناوراتها وشموليتها ومرونتها التى لا تتماشى مع العقلية العسكرية التى تقدس النظام بصولجان من الصرامة تؤدى إلى نفس النتيجة فالعقلية السياسية تتناول الموضوع من جميع أبعاده بشمولية تامة ، ولكننا نعرف أيضا أن الحرب هى امتداد للسياسة بوسائل أخرى ، أو هى سياسة النار ؛ وبذلك تصبح الحرب والعمليات العسكرية فى النهاية إحدى أدوات السياسة التى تستغل نتائجها فى مناوراتها الاستراتيجية والتكتيكية وطبيعة تحركها على جميع المستويات . لاشك أن هذا مدخل هام قبل الحديث عن الصراع الذى نشب بين الرئيس السادات والفريق الشاذلى حول مجريات الحرب فكل طرف حمل الطرف الآخر الكثير من الأخطاء ، فمن جهة يرى السادات أن الشاذلى ارتكب بعض الأخطاء العسكرية أبرزها – من وجهة نظره – عدم تعامل رئيس الأركان بالجدية والسرعة المطلوبة مع الثغرة فى بداياتها ، ومن جهة أخرى يرى الشاذلى أن قرارات السادات السياسية الخاطئة مثل قراره السياسى بتطوير الهجوم ، وقراره بشأن التعامل مع الثغرة بعدم سحب أى جندى من الشرق واحتواء قوات العدو بالقوات الموجودة غرب القناة هى السبب الرئيسى فى استفحال أمر الثغرة ، كما كان الشاذلى كثير التعليق على سياسة السادات عامة منذ توليه الحكم وأنه أضاع بسياسته الخاطئة – من وجهة نظره – ثمار النصر العسكرى الذى تحقق فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كان السادات كرجل سياسة يدير الحرب من خلال منظوره السياسى وبما يخدم أهدافه السياسة التى يسعى إليها فكما قلنا أن الحرب ما هى إلا أداة من أدوات السياسة تستغل نتائجها للوصول إلى أهدافها ولذا كان يعنى السادات تماماً ما يقوله عندما قال للقادة العسكريين قبل الحرب أن مجرد تمكننا من كسب عشرة سنتيمترات من الأرض على الضفة الشرقية للقناة سيغير الوضع سياسياً ، وبالتالى فإن أى قرار أصدره السادات خلال مجريات الحرب بغض النظر عن نجاح تنفيذ القرار كان له بعد سياسى فى عقل السادات أراد تحقيقه وهو مالم يدركه الشاذلى لأنه نظر لقرارات السادات وحللها من منظوره العسكرى فقط وقد يقول البعض ولكن لابد أن يكون القرار مضمون نجاحه عسكرياً حتى يؤتى ثماره سياسياً ، نعم ولكن هناك قرارات سياسية مجرد القدرة على إعلان إصدارها ووضعها حيز التنفيذ عسكرياً تحقق بعض الأبعاد السياسية التى ينشدها رجل الدولة ؛ فقرار السادات مثلاً بتطوير الهجوم شرقاً إلى جانب رغبته السياسية بضرورة تطوير الموقف الحالى كان قراراً له بعد قومى وهو تخفيف الضغط على الجبهة السورية حيث كان السادات واقعاً تحت ضغط الداعى القومى وتحت الضغط من جانب الدول العربية حينما ضرب الإسرائيليون دمشق وكان من الصعب وقوفه ساكناً حيال ذلك بعد طلب الرئيس الأسد تطوير الهجوم تخفيفاً للضغط عليهم ، وبغض النظر عن نجاح تطوير الهجوم المصرى فى تخفيف الضغط على الجبهة السورية فقد أدت الخطوة غرضها سياسياً بالنسبة للسادات فى الاستجابة للداعى القومى والتضامن العربى الذى أراد السادات عدم خسارته بتجاهله لطلب الرئيس حافظ الأسد ، خاصة وأن السادات كان يعول آمالاً كبيرة على تضامن عربي نفطي ، في إطار سياسي ، لدعم الأعمال العسكرية ، ومن الجدير بالذكر أن نشيد بالدور البطولى للملك «فيصل» ملك المملكة العربية السعودية حينما قاد العرب إلى استخدام سلاح البترول فى المعركة والضغط به سياسيا على الموقف القائم وحظر تصدير البترول إلى

الولايات المتحدة الأمريكية .

أما بالنسبة لقرار السادات بالتعامل مع الثغرة فما هو إلا ترجمة لرأى أغلب القادة العسكريين وقتها بعدم سحب قوات من الشرق كما كان يريد الشاذلى الذى أراد سحب أربعة ألوية من الشرق فكان قرار السادات بناءً على رأى أغلب القادة ، وبالطبع فإن حسابات السادات السياسية أيضا كانت تتماشى مع رأى القادة ؛ فالإنجاز العسكرى الذى تحقق فى الشرق والذى يعد ورقة سياسية رابحة للسادات فى أى مفاوضات قادمة أراد السادات عدم المساس به وعدم اتخاذ أى إجراء من شأنه أن يؤثر على دفاعات قواتنا فى الشرق بسحب أى قوات منها إلى غرب القناة ، كما أراد السادات أن يظهر ثابتاً أمام عدوه وألا يظهر مرتبكاً يسحب جزء من قواته لمواجهة الموقف الجديد الذى فرضه الإسرائيليون ، ويظهر الجيش المصرى وكأنه ينسحب مرة أخرى إلى غرب القناة مما سيؤثر على الروح المعنوية للجنود وهو ماكان يريده الإسرائيليون ، فكان قرار السادات مهماً جداً لحفظ التوازن الاستراتيجي للقوات المصرية شرق وغرب القناة وسبق أن أثبتنا صحة قرار السادات وتبرئته من حمل المسؤولية كاملة بمفرده فى نجاح القوات الإسرائيلية فى العبور غرب القناة فى حديثنا عن الثغرة .

ذكر الشاذلى أيضاً فى مذكراته أنه لم تكن ترضيه سياسة السادات ولم يكن يقتنع بخدع السادات السياسية قبل الحرب وذلك عندما كان يعلن السادات أكثر من مرة اقتراب الحرب مع عدم استعداد قواتنا لذلك ولم يدرك الفريق «الشاذلى» أن السادات كان بذلك ينفذ أحد مناوراته التكتيكية الخادعة لعدوه والتى كانت سبباً رئيسياً فى تضليله باعتراف الإسرائيليين نفسهم وهنا يبرز الفارق بين العقلية العسكرية والعقلية السياسية الذى كان مدخلاً هاماً لهذا الموضوع فالقائد السياسى الذى يطالع الأحداث بنظر ثاقب ورؤية تامة شاملة من جميع الجهات كلاعب الشطرنج الذى يفكر ويدبر لكى يتغلب على منافسه ليس كالقائد العسكرى الذى

ينظر للأمر على الجبهة من وجهة نظره العسكرية البحتة ويحسب مكاسبه على أرض القتال فقط، فالسياسة أعقد مما نتصور وأشمل من أن نراها من زاوية واحدة ؛ ولذلك فإنه رغم نبوغ عقلية الشاذلى العسكرية والتى كانت عاملا هاما فى حرب أكتوبر ورغم ثقافته العسكرية الملحوظة فإن كل هذا لم يتح للفريق «الشاذلى» أن يفهم ويدرك مغزى تحركات السادات ومناوراته التكتيكية قبل الحرب وتحركاته وقراراته السياسية أثناء الحرب ووقع الفريق «الشاذلى» فى هذا الخطأ وأجهد نفسه فى تحليل وشرح لبعض الأمور السياسية التى كانت خاطئة من وجهة نظره (وهو الرجل الذى تغلب عليه العسكرية) ، كما وقع الرئيس السادات فى الخطأ نفسه حينما ذكر فى كتابه - البحث عن الذات - بعض التفاصيل العسكرية الفنية البحتة (وهو الرجل السياسى) بشأن تعامل الفريق «الشاذلى» مع الثغرة فكان مثار سخرية وانتقاد الفريق «الشاذلى» وأوضح أن كلامه لا يرقى للعسكرية ، وكم كان دقيقا المشير «الجمسى» حينما بدأ مذكراته عن حرب أكتوبر بقوله : « إنى أعلم أن الحرب هى امتداد للسياسة بوسائل أخرى ، كما أننى على اقتناع بأن السياسة لها رجالها ، وهم القادرون على شرح سياسة مصر خلال الفترة من عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٣ وما بعدها حتى عام ١٩٧٨ أفضل منى .. لذلك التزمت أن يكون للجانب العسكرى الأسبقية والأهمية فيما أكتب »، ولا شك أن السادات له دور كبير فى تهميش الشاذلى إعلاميا بعد ذلك، بعد الخلافات التى نشبت بينهم ، وبالرغم من كل شىء فإن عقلية عسكرية فذة مثل الشاذلى لا تتكرر كثيرا ولا يمكن بأى حال من الأحوال إنكار دوره الخطير فى خطة الحرب .

العالم يعترف بإنجاز أكتوبر

لم أجد ختام لهذا الفصل أفضل من ختمه بشهادات العالم كله شرقه وغربه شهادة الصديق وشهادة العدو نفسه بإنجاز أكتوبر الخالد والحق ماشهدت به الأعداء .

« إن حرب أكتوبر كانت بمثابة زلزال تعرضت له إسرائيل وإن ما حدث في هذه الحرب قد أزال الغبار عن العيون وأظهر لنا ما لم نكن نراه قبلها ، وأدى كل ذلك إلى تغير عقلية القادة الإسرائيليين »

موشى ديان ٢٥/ ١٢/ ١٩٧٣

«إن مصر وخلفها سبعة آلاف عام من الحضارة تشتبك في حرب طويلة المدى مع إسرائيل التي تحارب اليوم لكي تعيش غدا ، ثم لا تفكر أبدا فيما قد تصبح عليه حالتها في المستقبل البعيد نسبيا »

الفيجارو الفرنسية ٢١/ ١٠/ ١٩٧٣

« لقد غيرت الساعات الست الأولى من يوم ٦ أكتوبر ، عندما عبر الجيش المصري قناة السويس واقتحم خط بارليف، غيرت مجرى التاريخ بالنسبة لمصر ، وبالنسبة للشرق الأوسط »

هارولد سييف مراسل

صحيفة ديلى تلجراف بالقاهرة ٢٩/ ١٠/ ١٩٧٣

« لقد غيرت حرب أكتوبر الخريطة السياسية للشرق الأوسط، وحطمت حالة الركود، ودعمت من مركز الدول العربية وأظهرت أيضا الدور الحيوي الذي يمكن أن يلعبه الرجال تحت القيادة التي تتسم بالعزم والتصميم.»

بريجادير جنرال

كنيث هنت - بريطانيا

«لم أكن أعتقد أننا سنتكبد هذه الخسائر في الطائرات»

بدور أينرك

طيار إسرائيلي سكاى هوك

« لقد أذهلنا المستوى الممتاز للطيارين المصريين .. وكفاءتهم القتالية العالية »

أورى يوسف أوار

ملازم أول طيار إسرائيلي

«لعل أهم نتيجة استراتيجية للحرب، هي تنفيذ الهدف الأساسي للرئيس السادات من شن هذه الحرب وهو أن حالة اللاسلم واللاحرب قد انتهت بشكل مثير ولا تزال القوة المحركة التي نتجت عن الحرب مستمرة في فاعليتها حتى الآن»

تريفور.ن.ديبوي الخبير العسكري الأمريكي

«إن شعبنا سيظل مدينا لهؤلاء الأبطال الذين صمدوا و ضحوا فى سبيل عزة الوطن و كرامته »

الرئيس الراحل أنور السادات

«فاجأتنا حرب أكتوبر على نحو لم نكن نتوقعه ، و لم تحذرنا أية حكومة أجنبية بوجود أى خطط محددة لأى هجوم عربى»

هنرى كيسنجر

وزير خارجية الولايات المتحدة ٢٨ / ١٢ / ١٩٧٣

«إن كل يوم يمر يحطم الأساطير التى بنيت منذ انتصار إسرائيل عام ١٩٦٧ وكانت هناك أسطورة أولا تقول : إن العرب ليسوا محاربين و أن الإسرائيلى سوبرمان ، لكن الحرب أثبتت عكس ذلك»

مجلة نيوزويك الأمريكية

«دهشنا بما شاهدناه أمامنا من حطام منتشر على رمال الصحراء لكل أنواع المعدات من دبابات و مدافع و عربات إسرائيلية كما شاهدت أحذية إسرائيلية متروكة و غسيلا مصريا على خط بارليف»

مراسل رويتر

فى اليوم الثالث للحرب

«إن جميع الحروب الحديثة فى العالم أصبحت فى ذمة التاريخ عدا معركة أكتوبر ، فستظل فى ذاكرتنا نتدارسها لأعوام كثيرة قادمة لأنها غنية بالدروس التى لم نستوعبها بعد»

أحد المعلقين العسكريين الغربيين

«ليس أشق على نفسى فى الكتابة ، من بين كل الموضوعات التى كتبت عنها فى هذا الكتاب ، قدر أن أكتب عن حرب أكتوبر ... إنها كارثة ساحقة وكابوس عشته بنفسى وسيظل باقيا معى على الدوام»

جولدا مائير فى كتابها حياتى

«كان الجندى المصرى يتقدم فى موجات تلو موجات، و كنا نطلق عليه النار وهو يتقدم و نحيل ما حوله إلى جحيم و يظل يتقدم و كان لون القناة قانيا بلون الدم ورغم ذلك ظل يتقدم» .

الجنرال شموائيل جونين

قائد جيش إسرائيل فى جبهة سيناء

«إن حرب أكتوبر كانت كزلزال هز إسرائيل من داخلها، فأفقنا على واقع جديد»

موشي ديان

«الجندى المصرى يبدى روحا قتالية قوية و كفائة فنّية عالية للغاية ولا يفاجئ بأى هجوم عليه وكأنه كان يمرّن ذهنه على استعراض سيناريو مهمّاته الموكولة إليه آلاف المرّات كل يوم..نحن نواجه جنديًا مصريًا مقتدرًا هذه المرّة»

الجنرال ميتاهيو بيليد

١٩٧٣/١٠/٢١

«يجب أن يفهم الجميع أن لكل حرب مفاجآتها ، وأن هناك أشياء لابد لنا أن

نتعلّمها و أن نصحّح مفاهيمنا بخصوصها.....يجب أن يفهم الجميع أن الجندى المصرى كان المفاجأة الغير سارة لنا فى هذه الحرب».

الجنرال دافيد أليعازر

رئيس الأركان الاسرائيلى

«لقد وضعنا رأسنا فى فم الأسد....و لم ينقذنا سوى وقف إطلاق النار لأننا كنّا تحت رحمة استراتيجيّة «الأسنان فى اللحم» التى كان المصريّون على وشك اتّباعها معنا»

الجنرال بوفر

«إن القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى »

الرئيس الراحل أنور السادات

كان هذا جزء من اعتراف كل العالم بقيمة هذا الإنجاز الذى شكك فيه البعض ، وكم كان شيئا مؤلماً عندما أعلن السيد «حسن نصر الله» زعيم حزب الله عندما قال : إن إجبار إسرائيل على الخروج من جنوب لبنان هو أول انتصار حقيقى على إسرائيل منذ هزيمة ١٩٦٧ . إن النصر لا يتأتى من فراغ لقد بذلنا الكثير من العمل والجهد الشاق وعشنا سنوات مريرة نعد أنفسنا لهذا اليوم واثقين فى نصر الله وفى جنودنا خير أجناد الأرض الذين وعدوا أن يبذلوا دماءهم رخيصة لتحرير أرضهم وأوفوا بوعدهم مؤمنين بأهدافنا وبعدالة قضيتنا فأكرمنا الله عز وجل بنصره كما وعد فى كتابه الكريم :

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾